الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٨ – ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ – السنة الثانية

2 me Année, No. 78.

Lundi-31-12-1934

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العـــدد ٧٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٣ — ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

الرَّادْيو و « الشاعر » . . .

أَلِفتُ منذ سنين أن أزور رمضان فى ربوعه الأصيلة ، ومغانيه الباقية . ومن لم يشهد رمضان فى حيّ الحسين ، أو فى حيّ الحسينية ، أو فى أمثالهما من الأحياء القديمة لم يشهده فى قداسته المهيبة وجلالته الباهرة !

كنت فى إحدى لياليـه الزُّهر أخرج متى استيقظت المشاعر من فَتْرة الصيام ، وسكْرة الطعام ، فأعبُر القرون العشرة التى تفصل بين قاهرة الملك فؤاد وقاهرة الخليفة المعز ، فأجد رمضان العظيم قد نشر بنوده ، وأعان وجوده ، فى كل شارع وفى كل منزل ! فهو خير يتدفق فى البيوت ، وبشر يتهلل فى الوجوه ، وأنس يتطلق فى المجالس ، وذكر يتضوع فى المساجد ، ونور يتألق فى المآذن ، وسمر يتنقل فى الأندية ، ونفحات من الفردوس ترطب القلوب ، وتلين الأكباد ، وترفّ على ما ذوى من العواطف

فالحوانيت سامرة وان لم تبع ، والمصانع ساهرة وان لم تنتج ، والأبهاء عاطرة بحديث الأحبة حتى نصف الليـل ، والأفنية عامرة بذكر الله حتى أول السحر . أما كثرة الناس فقد أخذوا

مجالسهم من قهوات الحى وباتوا ينضحون « مزاجهم » الظامئ بالفناجيل الرويَّة ، ويشققون أحاديثهم الطلية بالنكات المصرية ، ثم يستمعون فى خشوع العابد وسكون العاشق ولهفة الطفل إلى القصاص أو الشاعر ، وقد طوَّفتْ به أشباح القرون ، وغمغمت فى صوته أصداء الزمن . يتربع فى صدر المكان على منصة عالية من الخشب العتيق ، وهو فى سَمْتِه وهندامه ولهجة كلامه وطريقة سلامه نموذج العامى الأديب ، ومثال الحضرى المثقف : حفظ كثيراً من الأشعار فاكتسب ظرف الأدب ، وروى صدراً من الأمثال فاكتسى وقار الحكمة ، ووعى طائفة من الأخبار فاتَّسم برقة المنادمة . وهو إلى ذلك بارع النادرة ، دقيق الفطنة ، عذب الفاكهة ، حاضر الجواب ، يؤدى إلى هذا الجمهور الغرير الساذج دعوة الواعظ ، وأمانة المعلم ، ورسالة الأديب

***

ها هو ذا قد فرغ من احتساء القهوة ، وجباية النقوط ، ومبادلة السامع المعتاد جميلَ التحية ، ومسارقة الزائر الممتاز رغيبَ النظر ؛ ثم أخذ يحتفل للقصص أو الانشاد ، فاحتبست قهقهة (النكتة) ، وانقطعت قرقرة (الجوزة) ، وانتشرت سكينة الجد فى القهوة ، واتجهت عيون الجمع إلى المنصة ، ثم رن فى سكون القوم ذلك الصوت العريض المتَّزن يرسل الكلام والأنغام فى ترجيع مؤثر ، وتقطيع معبر ، وتنويع مطرب ؛ فهو يفخم ويرقق ، ويقسو ويلين ، ويأنف ويستكين ، ويثور ويهدأ ، ويسخط ويرضى ، ويتدلل ويتذلل ، ويتحمس ويتغزل ، كأنه فى تعاقب ذلك كله عليه الأوتار الطيِّعة تحت الأنامل اللينة البارعة ، فيملأ الآذان بالنغم ، والأذهان بالفكر ، والقلوب بالشوق ، والمشاعر باللذة

***

ذهبت ليلة الأمس على عادتى أرُود المعاهد ، وأجوس الديار ، وأستنشي ما بقى على أطراف الزمن من عبير الفاطميين ، فوجدت القاهرة الشرقية لا تزال تتحدى القاهرة الغربية بمساجدها ومدارسها ومستشفياتها وخانقاتها وحماماتها وأسواقها ، وتعلن بشهادة هذه الآثار أن حضارتها العربية الخالصة إنما كانت تقوم على الدين والعلم والمدنية والانسانية والعمل . وترغم بأدلة الاختبار أن هذا المظهر الحسى القوى الرائع الذى يميز حضارة الغرب من حضارة الشرق إنما يرجع إلى أن هذه تقوم على الروح ، وتلك تقوم على الآلة ، وهذه تُصدر عن العاطفة والايثار ، وتلك تصدر عن المنفعة والأثرة ؛ والميزة التى ينبغى أن تكون لحضارة على حضارة إنما هى ضمان السعادة للناس ، وتحقيق السلام للعالم

***

ولكن أين صديقى الشاعر ، وأين أخوه القصاص ! هذا هو الحى ، وهذه هى القهوة ، وهؤلاء هم الناس ، ولكنى وجدت فى مكان الأريكة المنجَّدة ، والحلة المفوَّفة ، والعمامة الفردة ، صندوقاً من الخشب ، دقيق الصنع ، أنيق الشكل ، قد علق بالحائط ، فأغنى غناء القصاص ، وأبلى بلاء الشاعر ! !

تركت هـــذه القهوة ومضيت أتحسس فى زوايا الحى وحنايا السوامر ذلك الصـوت الذى كان ينبعث من جوف الماضى السحيق شادياً بالمجـــد والنبل والبطولة ، فلم أجد له — وا أسفاه — جَرْساً ولاصدى ! !

لقد هزم الرديو الشاعر فى كل قهوة ، كما هزمت الآلة الانسان فى كل عمل ! ففى كل مقهى من هذه المقاهى (البلدية) آلة من هذا الاختراع العجيب تغرى الأذواق العامية بالفن ، وتروض الآذان العصيَّة على الموسيقى ، وتنبه العقول الغافلة الى العلم ، وتحبب النفوس المستهترة فى الأدب ؛ فهى تقرأ القرآن ، وترسل الألحان ، وتذيع العــلم ، وتُشيع اللهو ، وتنشر البهجة ! ولكنى مع ذلك كله عظيم الأسف على موت القُصاص ، شديد الأسى على فقد الشاعر !

فان مخاطر الشهامة (لأبى زيد) ، ومواقع البطولة (لعنترة) ، ومواقف النبل (لسيف بن ذى يزن) ، أصلح لتهذيب العامة فيما أظن مما يبثه المذياع كل يوم من النوادر الوضيعة ، والأناشيد الخليعة ، والألحان الرخوة !

احمد حسن الزيات

السطر الأخير من القصة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

رجعتُ إلى أوراقٍ لى قديمةٍ ، يبلغ عمرها ثلاثين سنةً أو لِداتها ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ؛ وجعلتُ أفلى هذه لأوراقَ واحدةً واحدة ، فاذا أنا على أطلال الأيام فى مدينةٍ قائمةٍ من تاريخى القديم ، نائمةٍ تحت ظُلُماتها التى كانت أنوارَ عهدٍ مَضى ؛ وإذا أنا منها كالذى اغترب ثلاثين سنةً عن وطنه ثم آب إليه ، فما يَرى من شىءٍ كان له به عهدٌ فى أيام حداثته ونشاطه إلا اتصلَ بينهما سِرّ . ومن طبيعة انقلابِ العاشقِ فى حنينه أن يَجعلَ كلَّ شىءٍ يتّصل به كأنه ذو قلبٍ مثلِه له حنينٌ ونجوى !

وذلك التّلاشِى المحفوظُ فى هذه الأوراق ، يَحفظُ لى فيها وفيما تحتويه نفساً وطبيعةً كانتا نفسَ شاعرٍ وطبيعةَ روضة ، فى عهدٍ من الصِّبى كنتُ فيه أتقدَّم فى الشباب وفى الكونِ معاً ، كأنّ الأشياءَ تُخلَق فىَّ خلقاً آخر ؛ فاذا قرضتُ شعراً واستوى لى على ما أحب ؛ أحسستُ إحساسَ الملِك الذى يَضُمّ إلى مملكته مدينةً جديدة ؛ وإذا تناولتُ طاقةً من الزهرِ وتأملتُها على ما أحب ، شعَرتُ بها كأجمل غانيةٍ من النساء تُوحِى إلىَّ وحىَ الجمال كلّه ؛ وإذا وقفتُ على شاطىء البحر تَرَجرج البحرُ بأمواجه فى نفسى ، فكنتُ معه أكبرَ من الأرض وأوسعَ من السماء . أما الحب . . . ؟ أما الحب فكانت له معانيه الصغيرةُ التى هى كضرورات الطفل للطفل ، ليس فيها كبيرُ شىء ، ولكن فيها أكبرَ السعادة ، وفيها نَضرَةُ القلب

عهدٌ من الصِّبى كانت فيه طريقةُ العقل من طريقة الحُلُم ؛ وكانت العاطفةُ هى عاطفةٌ فى النفس ، وهى فى وقتٍ معاً خَدْعَةٌ من الطبيعة ؛ وكان ما يأتى يُنسِى دائماً ما مضى ولا يُذكَرُ به ؛ وكانت الأيامُ كالأطفال السعداء ، لا ينام أحدُهم إلا على فكرةِ لَعِبٍ ولهو ، ولا يستيقظ إلا على فكرةِ لهوٍ ولعب ؛ وكانت اللغةُ نفسُها كأنّ فيها ألفاظاً من الحلْوى ؛

وكانت الآلامُ — على قِلّتها — كالمريض الذى معه دواؤه المجرَّب ؛ وكانت فلسفةُ الجمال تضحك من فيلسوفها الصغير ، الواضحِ كلَّ الوضوح ، المقتصرِ بكل لفظة على ما يعرف من معناه ، المتفلْسِفِ فى تحقيق الرغبة أكثر مما يتفلسف فى تخيُّل الفِكْرة !

هو العهدُ الذى من أخصّ خصائصه أن تعملَ ، فيكونَ العملُ فى نفسه عملاً ، ويكونَ فى نفسك لذة

* * *

فى أوراقى تلك بحثتُ عن قصّة عنوانها « الدّرس الأوّل فى علْبة كبريت » كتبتها فى سنة ١٩٠٥ ، وأنا لا أدرى يومئذ أنها قصّةٌ يَسْبَح فى جوّها قَدَرٌ روائىٌّ عجيب ، سيأتى بعد ثلاثين سنة فيكتب فيها السطر الأخير الذى تم به فلسفة معناها

وهأنذا أنشرها كما كتبتُها ؛ وكان هذا القلمُ إذ ذاك غضّاً لم يَصْلُبْ ، وكان كالغصن تميل به النَّسمة ، على أن أساس بلاغته قد كان ولم يزل ، بلاغةَ فرحه أو بلاغة حزنه ؛ وهذه هى القصة :

« عبد الرحمن عبد الرحيم » غلامٌ فلاّح ، قد شهد من هذه الدنيا تسعةَ أعوام ، مرّت به كما يمرّ الزمنُ على ميتٍ لا تزيده حياةُ الأحياء إلا إهمالاً ؛ فنشأ مَنْشَأ أمثاله ممن فقدوا الوالدين ، وانتُزعوا من شَمْلِهم فتُركوا للطبيعة تَفْصِلهم وتَصِلهم بالحياة ، وتضيِّق لهم فيها وتوسِّع

وهيّأت الطبيعةُ منه إنساناً حيوانياً ، لا يبلغ أشُدَّه حتى يغالبَ على الرزق بالحيلة أو الجريمة ، ويستخلصَ قُوتَه كما يرتزق الوحْش بالمِخْلَب والنّاب ؛ ولن يكون بعدُ إلا مجموعةً من الأخلاق الحيوانيّة الفاتكة الجريئة ؛ فان الطبيعة متى ابتدأت عملَها فى تحويل الانسان عن إنسانيته ، نزلت به إلى العالَمِ الحيوانىّ ووصلَتْه بما فيه من الشر والدناءة ، ثم لا تترك عملَها حتى يتحوّلَ هو إليها

وألِفَ « عبدُ الرحمن » فى بلده حانوتَ رجلٍ فقير ، يستغنى بالبيع عن التكفّف وعن المسألة ؛ فكان الغلام يُكثِر الوقوفَ عنده ، وكان يطعم من صاحبه أحياناً كرِزْق الطير ، فُتاتاً وبقايا ، إذ كان الغلام شحّاذاً ، وكان صاحبُ الحانوت

لا يرتفع عن الشحاذة إلا بمنزلة تجعل الناس يتصدقون عليه بالشراء من هناته التي يسميها بضاعة : كالخيط والابرة ، والكبريت والملح ، وغزال للولد ، وكحل للصبايا ، ونشوق للعجائز نشخة الشيخ الشعرانى ، وما لف لفها مما يصعد ثمنه من كسور المليم ، إلى المليم وكسوره !

وتغفله الغلام مرة ، وأهوى بيده إلى ذخائر الحانوت ، فالتقطت « علبة كبريت » ، كان الفرق كل الفرق بين أن يسرقها وأن يشتريها نصف مليم . ولكن من له « بالعشرين الخردة » ؟ وهى عند مثله دينار من الذهب يرن رنيناً ويرقص على الظفر رقصة إنجليزية

وماذا يصنع بالعلبة ؟ همت نفسه أن تجادله ولما تسكن رعشة يده من هول الاثم . ولكن الغلام كان طبيعياً ولم يكن فيلسوفاً ، ولذلك رأى أن يحرز الحقيقة بعد أن وقعت يده عليها . وقد اصطلح الناس على أن مادة السرقة هى «مد اليد» أخطأت أم أصابت ، وجاءت بالغالى أو جاءت بالرخيص ؛ فضم أصابعه على العلبة وانتزعها ، وترك فى مكانها فضيلة الأمانة التى لم يعرف له الناس قيمتها ، فهانت كذلك على نفسه . وانطلق وهى تناديه :

أيها الغلام ، أتدفع ثمن علبة الكبريت سنتين من عمرك ، وهل خلا الناس ممن يعرفون لعمرك قيمة ؟

وارتد رجع الصوت الخفى الى قلبه من حيث لا يشعر ، فضرب قلبه ضربات من الخوف ، ونزا نزوة مضطربة ؛ فالتفت الغلام مرة أخرى ، ثم أمعن فى الفرار وترك الأمانة تناديه :

أيها الغلام ، إن لك فى الآخرة ناراً لا توقد بهذا الكبريت ، ولك فى الدنيا سجن كهذه العلبة ، فالعب العب مادام الناس قد أهملوك ، إلعب بالثقاب الذى فى يدك فسيمتد فيك معنى اللهب حتى يجعل حياتك فى أعمار الناس دخاناً وناراً ، وستكون أيامك أعوادا كهذا الكبريت تشتعل فى الدنيا وتحرق

وكأن أذناب السياط كانت تلهب ظهر الغلام المسكين ، ولكنه ما كاد يلتفت هذه المرة حتى كان فى قبضة صاحب الحانوت ، وإذا هو بكلمة من لغة كفه الغليظة ، خيلت له فى شعرها أن جداراً انقض عليه ، وتلتها جملة من قوافى الصفع جلجلت فى أذنيه كالرعد ، وأعقب ذلك مثل الموج من جماعات الأطفال أحاط به ، فترك هذا الزورق الانسانى الصغير يتكفأ على صدمات الأيدى . فما أحس الغلام التمس إلا أن الكبريت الذى فى يده قد انقدح فى رأسه ، وكانت أنامل صاحب الحانوت كأنما تحك أعواده فى جلد وجهه الخشن !

* * *

وذهبوا به الى (دوار) العمدة يقضى فيه الليل ، ثم يصبح على رحلة الى المركز والنيابة . وانطرح المسكين منتظراً حكم الصباح ، مؤملاً فى عقله الصغير ألا يفصح النهار حتى يكون « سيدنا عزرائيل » قد طمس الجريمة وشهودها ؛ ثم أغفى مطمئناً الى ملك الموت وأنه قد أخذ فى عمله بجد ، وأيقن عند نفسه أن سيشحذ فى الخميس مما يوزع فى المقبرة صدقة على أرواح العمدة ، وصاحب الحانوت ، والخفير الذى عهدوا اليه جره الى المركز . . . ! وكيف يشك فى أن هذا واقع بهم وهو قد توسل بالولى فلان ونذر له شمعة يسرقها من حانوت آخر ..!

هكذا عرف الشر قلب هذا الصبى ، وانتهى به عدل الناس الى أفظع من ظلم نفسه ، وكأنهم بذلك القانون الذى يصلحونه به على زعمهم ، قد ناولوه سبحة ليظهر بها مظهر الصالحين ، ولم يفهموه شيئاً ففهم أنهم يقولون له : هذه الجريمة واحدة ، فعد جرائمك على هذه السبحة لتعرف كم تبلغ !

كانت فى الحقيقة لعبة لا سرقة ؛ وكانت يد الغلام فيما فعلت مستجيبة لقانون المرح والنشاط والحركة ، كما تكون أعضاء الطفل لا كما تكون يد اللص ؛ وكان أشبه بالرضيع يمد يده لكل ما يراه ، لا يميز ضارة ولا نافعة ، وإنما يريد أن يشعر ويحقق طبيعته ؛ وكان كل ما فى الأمر وقصارى ما بلغ — أن خيال هذا الغلام ألف قصة من قصص اللهو ، وأن الكبار أخطأوا فى فهمها وتوجيهها .. ! ليست سرقة الطفل سرقة ، ولكنها حق من حقوق ذكائه يريد أن يظهر

* * *

وانتهى « عبد الرحمن » الى المحكمة ، فقضت بسجنه فى

(اصلاحية الأحداث) مدة سنتين ، واستأنف له بعض أهل الخير فى بلده ؛ صدقةً واحتساباً . . . إذ لم يكلف الاستئناف إلا كتابة ورقة . فلما مَثَلَ الصغيرُ أمام رئيس المحكمة لم يكن معه لفقره محام يدفع عنه ، ولكن انطلق من داخله مُحام شيطانىٌّ يتكلم بكلام عجيب ، هو سخريةُ الجريمة من المحكمة ، وسخريةُ عمل الشيطان من عَمَل القاضى . . . !

سأله الرئيس : « ما اسمك ؟ »

— « : إسمى عبده ، ولكن العمدة يسمينى : يابن الكلب ! »

— : « ما سِنُّك ؟ »

— : « أُبويا هُوَ اللى كان سَنَّان »(١)

— : « عُمْرك إيه ؟ »

— : « عُمْرى ؟ عُمْرِى ما عَمَلت شَقَاوة ! »

النيابة للمحكمة : « ذكاءٌ مخيف يا حضرات القضاة ! عُمرُه تِسْع سنوات ! »

الرئيس — : « صَنعتك إيه ؟ »

— : « صَنعتى أَلْعَب مع محمود ومريم ، وأَضْرَب اللى يِضْرَبنى ! »

— : « تعيش فِين ؟ »

— : « فى البلد ! »

— : « تاكل منين ؟ »

— : « آكل من الأَكل ! »

النيابة للمحكمة : « يا حضرات القضاة ؛ مثلُ هذا لا يسرق علبة كبريت إلا ليُحرِق بها البلد . . . ! »

الرئيس : « أَلَكَ أُمّ ؟ »

— : « أُمى غِضْبت على أبويا ، وراحت قعدت فى التُرْبة ، ماريضيتْش تِرْجع ! »

— : « وأبوك ؟ »

— : « أُبويا لآخر غِضِبْ وراحْ لها »

الرئيس ضاحكاً : « وأنتَ ؟ »

— : « والله يا افندى عاوز اغضَب ، مُشْ عارف أغضب ازّاى ! »

(١) كان أبو الغلام سناناً ، ومثل هذا القدر من العامية فى القصة هو ملح القصة

— : « إنتَ سرقت علبة الكبريت ؟ »

— : « دِى هِىَّ طارت من الدكان ، حسبتها عصفورة ومْسِكْتها . . . . »

النيابة : « وِليه ْماطارتْش العلب الِّلى معاها فى الدكان ؟ »

— : « أنا عارف ؟ يمْكِن خافت منى ! »

النيابة للمحكمة : « جراءة مخيفة ياحضرات القضاة ، المتهم وهو فى هذه السن ، يشعر فى ذات نفسه أن الأشياء تخافه » .

فصاح الغلام مسروراً من هذا الثناء .. « والله يا افندى إنتَ راجل طيِّب ! أديكْ عَرفْتِنى ، ربّنا يكفيك شر العمدة والغفير ! »

***

وأُمضى الحُكْمُ فى الاستئناف ، وخرج الصغير مع رجال من المجرمين يسوقهم الجند ، ثم احتبسوا الجميعَ فترةً من الوقت عند كاتب المحكمة ، ليستوفىَ أعماله الكتابية ؛ ثم يساقون من بعدُ الى السجن

وجلس « عبد الرحمن » على الأرض ، وقد اكتنفه عن جانبيه طائفة المجرمين يتحادثون ويتغامزون ، وكلُّهم رجال ولكنه وحده الصغير بينهم ؛ فاطمأنّ شيئاً قليلا ، إذ قدّر فى نفسه أنه لو كان هؤلاء قد أُريدَ بهم شرٌّ لما سكنوا هذا السكون ، وأن الذى يرادُ بهم لا يناله هو إلا أصغرُ منه ، كصفعةٍ أو صفعتين مثلاً . . . وهو يسمع أن الرجال يَقتلون ويُحرّقون ويَسِمُّون ويعتدُون وينهبون ؛ وما تكون (علبة الكبريت) فى جنب ذلك ، وخاصةً بعد أن استردّها صاحبُها ، وقد نال هو ما كفاه قبل الحكم ؟

وما لبث بعد هذا الخاطر الجميل أن ردّ الاطمئنانُ فى عينيه دموعا كاد يُريقها الجَزَع . غير أن القلق اعتادهُ فالتفتَ إلى كُتّاب المحكمة مرّة وإلى الجند مرّة ، ثم لوى وجهه ولم يَستبحْ لنفسه أن يتجرّأ على الفكر فيهم ، لأنه قابلَ مهابتهم بآلهةِ بلده : العمدة والمشايخ والخفراء ؛ فأدركَ أن الجنود هم الحكومة القادرة ، واستدلّ على ذلك بأزرارهم اللامعة ، وخناجرهم الصقيلة ، وتمشّت فى قلبه رهبةُ هذه الخناجر ، فاضطرب خشيةَ أن يكونوا قد أسلموه إلى مَن يذبحه ، فنظر الى الذى يليه من المجرمين وسأله : « راحْ ياخْدُونى فِينْ ؟ » فأجابته لكمةٌ خفيّة انطلق لها

دمعه ، حتى أسكتـه الذى يليه من الجانب الآخر ، وكان فى رأيه من الصالحين !

ثم اتصل الجزعُ بين قلبه وعينيه ، فهما تضطربان الى الجهات الأربع ، وكأنما يُحاول أن يستشفَّ من أيِّها سيأتيه الموتُ ذَبْحا . ولم يكن فَهِمَ معنى (الاصلاحية) ، وحَكَمَ القضاةُ عليه كأنه رجل يفهم كلَّ شيء ، ولم يرحموا هذه الطفولة بكلمة مُفسِّرة . وعَدْلُ التربية غيرُ عدل القانون ، فكان الواجب على القاضى الذى يحكم على الطفل ، أن يجعل حُكْمَهُ أشْبَهَ بصيغةِ القصة منه بصيغةِ الحُكْم ؛ وأن يَدَعَ الجريمة تنطلقُ وتذهب فلا يقول لها امكُثى . . .

وبقى للخناجر رهبتها فى نفس هذا المسكين ، فلو أنهم قادوه إلى حبل الشنَّاقة لأفهمه (الْحَبْلُ) معنى العقوبة ، أما وهو بين هذه الخناجر المُغْمدة — وفى الخناجر معنى الذبح — فانما هو الذّبح لا غيرُه

وطرقتْ أذنيه قهقهة المجرم عن يمينه فاستنقذتْه من هذا الخاطر ، فثبّتَ عينَه فى الرجل ، فاذا هو يرى وجهاً متلألئاً ، وجسماً رابطَ الجأش ، وهُزُؤًا وسخرية بهؤلاء الجنود وخناجرهم

واستراح الغلام الى صاحبه هذا ، وألحّ بنظره عليه ، وابتدأ يتعلّم فى وجهه الفلسفة ؛ وليست الفلسفةُ مقصورةً على الكتب ، بل إن لكل إنسان حالةً تشغله ، فنَظَرُه فى اعتبار دقائقها وكشفِ مستورها هو الفلسفةُ بعينها

وقال الغلام لنفسه : « هذا الرجل أقوى من كل قوة ؛ فهو محكوم عليه ولا يبالى ، بل يقهقه ضحكا ؛ فهذا الحكم إذن لا يخيف . لا ، بل هو تعوَّدَ الأحكام ، إذن فمن تعود الأحكام لم يَخَفْ الأحكام ؛ إذن يا عبد الرحمن ستتعود ، فان الخوف هذه المرة قد غطك من (علبة الكبريت) فى حريقٍ متسعّر ؛ وما قَدْرُ (علبة الكبريت) ؟ فلو كانت السرقة جاموسة ما لَقيتُ أكثر من ذلك ؛ يا ليتنى إذن ... ولكنى لا أزال صغيراً ، فمتى كبرْت ... آه متى كبرْت . . »

وبدأ القانونُ عملَه فى الغلام ؛ فطرد منه الطفلَ وأقرّ فيه المجرم

* * *

وأطرقَ « عبد الرحمن » هادئاً ساكناً ، وقامت فى نفسه محكمةٌ من الأبالسة ، بقضاتِها ونيابتها ، يجادل بعضُهم بعضاً ، ويداولون بينهم أمرَ هذا الغلام على وجهٍ آخر

وقال شيطان منهم : « ولكننا نخشى أمرين : أحدهما أن (الاصلاحية) ستُخرجه بعد سنتين شريفاً يحترف ؛ والثانى أن الناس ربما تولّوه بالتربية والتعليم فى المدارس رحمةً وشفقة ، فيخرج شريفاً يحترف »

وما أسرع ما نفى الخوف عنهم قولُ الغلام نفسِه بلهجة فيها الحقد والغيظ ، وقد صَفَعَهُ الجنديُّ الذى يقوده الى السجن — : « ودا كلّه على شانْ علبة كبريت . . . ؟ »

.. ..

.. ..

فى سنة ١٩٣٤ قضتْ محكمة الجنايات بالموت شنقاً على قاتلٍ مجرمٍ خبيثٍ ، عيَّارٍ مُتَشَطِّر ، اسمُهُ « عبد الرحمن عبد الرحيم » . . . ؟

مصطفى صادق الرافعى

هنا وهناك

حمـــاية التفكير

وتكريم النبوغ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

نقرأ تباعاً أنباء الجوائز العلمية أو الأدبية أو الفنية التي تمنحها المؤسسات والهيئات العلمية المختلفة لأقطاب رجال التفكير والآداب والفنون؛ وهناك غير الجوائز المحلية القومية التي تنظم في كل أمة لتشجيع الحركة الفكرية، جوائز عالمية ترمى الى تشجيع أبدع ما يخرج الذهن البشرى في أى البلاد أو الأمم؛ ولعل جوائز «نوبل» هي أشهر جوائز من هذا النوع، فهي تمنح الى أقطاب العلم والأدب والسياسة في أنحاء العالم دون فارق بين الجنسية أو الدين أو اللغة، ثم هي تمنح للنساء كما تمنح للرجال؛ وهذا هو أبدع مافي هذه الجوائز، فهي تقصد الى تكريم النبوغ البشرى حيث يوجد، وهي ترتفع فوق جميع الاعتبارات القومية، ولا تنظر إلا الى أفق الانسانية الشاسع. ولقد خلد ألفرد نوبل السويدى، صاحب هذه الوصية العلمية والانسانية الجليلة، اسمه بتأسيسها وتنظيمها بما لم يخلده فاتح؛ والواقع أنه لم يكن ينقص هذا المخترع العبقرى شيء من بعد الصيت والذكرى، فقد كان عالماً ومخترعاً عظيما، له ثبت حافل من الاختراعات العظيمة؛ وقد كان لتجاربه واكتشافاته في أواخر القرن الماضي أثر عظيم في تقدم الفنون العسكرية ولا سيما فيما يتعلق «بالديناميت» الذى وصل إلى اكتشافه وتركيبه. ومن الغريب أن يتجه هذا الذهن الذى أنفق نبوغه في اختراع المفرقعات المهلكة، الى تشجيع النبوغ البشرى في مختلف نواحي التفكير والآداب، وأغرب منه أن يتجه الى تشجيع السلام العالمي، فيخصص ضمن جوائزه الشهيرة جائزة لأية جماعة أو شخصية تمتاز بخدماتها الجليلة لقضية السلام

وليست جوائز نوبل سوى مثل من أمثلة لا تحصى لهذا النظام المحمود — نظام الجوائز العلمية — الذى ترتبه جميع الأمم المتمدنة لتشجيع الحركة الفكرية، وتكريم أبنائها الممتازين بسمو التفكير والابتكار، ومعاونة الأذهان والعبقريات المغمورة على الظهور والعمل لاستثمار كفاياتها ومواهبها في مختلف النواحي. ولنلاحظ أن هذه الجوائز الشهيرة إنما هي من وضع فرد فقط، وأن كثيراً من الأغنياء في بلاد الغرب يحذون مثل الفرد نوبل فيهبون الألوف والملايين الى الجامعات والجماعات العلمية والأدبية؛ ويرتبون الجوائز لتشجيع الباحثين والمفكرين، وإظهار جهودهم، وثمرات نبوغهم؛ وفي كل يوم نقرأ نبأ هذه الهبات والجوائز السنية، ونهتز اعجاباً واكباراً لهذه النفوس والهمم الرفيعة التى تجد مثلها الأعلى في العمل على تشجيع المثل العليا، ولا تنظر الى المال إلا كوسيلة لأذكاء النبوغ واستثماره لخير العلم والانسانية.

وفي هذه الأمم التى يتقدم أغنياؤها للاضطلاع بهذه الأعمال الجليلة تجد الحكومات والهيئات العلمية الرسمية تعنى أشد العناية ببذل هذا التشجيع المنظم للدرس والبحث والنبوغ؛ ففي الجامعات ترتب جوائز دائمة لنوابغ الطلاب، فضلاً عن إعفائهم من أجور الدراسة، وترتب جوائز دورية مختلفة لتشجيع البحوث والجهود العلمية الممتازة؛ ولا تكاد توجد هيئة علمية أو أدبية، إلا ولها جوائز دورية ثابتة تمنح لكل عامل لتحقيق الأغراض العلمية أو الأدبية التى رتبت لتشجيعها. وأمامنا مثـــل الجمعيات الطبية والجغرافية والتاريخية في مختلف العواصم الغربيـــة، فانها جميعاً تبذل من المعاونات المادية في سبيل البحث والدرس والاستكشاف ما هو معروف ومشهور؛ ويكفي أن نذكر أن معظم الاكتشافات العلمية والطبية والجغرافية، تم تحت رعاية هذه الهيئات المحترمة. بل يكفي أن نذكر أن معظم العلماء والمكتشفين لا يستطيعون القيام بمشروعاتهم الا بمؤازرتها المادية، وأنها هي التى أوفدت في العصر الحديث معظم المكتشفين الى مختلف مجاهل أفريقيـــة وآسيا والقطبين

والخلاصة أن الهيئات الرسمية والخاصة في هذه الأمم العظيمة، تتحد جميعاً في مؤازرة الحركة العلمية، وتشجيع التفكير والنبوغ بجميع الوسائل. على أن أبدع ما في هـــذه النزعة، هو الجهود الخاصة والفردية؛ وليس مثل الفرد نوبل وحيداً، وان كان من أعظم الأمثـــلة وأبدعها؛ فهنالك في فرنسا مثلا مشروع جائزة

« جونكور » الذى وضعه الكاتب الفرنسى أدمون جونكور لتتويج الآثار الأدبية البارزة ؛ وقد وهب المشروع مالا كثيراً ، وما زالت « أكاديمية جونكور » منذ أواخر القرن الماضى تمنح جوائزها الأدبية للكتاب والقصصيين النابهين ، عاماً بعد عام ؛ وما زالت تعتبر شرفاً أدبياً يطبع الفائزين بطابع النبوغ ، ولا سيما كتاب الشباب ، ويفتح أمامهم أبواب المستقبل الذهبى ؛ وهنالك أيضاً أمثلة عديدة لهذه الجهود والمنشآت الفردية ، كما أن هنالك صحفاً كثيرة تنشئ مثل هذه الجوائز الأدبية ؛ ولهذه الجهود المتحدة بلا ريب أثرها القوى فى تقدم الحركة الأدبية وازدهارها فى هذه الأمم

أما نحن فلم نعرف بعد أهمية هذه المؤازرة العلمية ، ولم تأخذ بها إلى اليوم جماعاتنا العلمية الرسمية ؛ ولم يسعفها بعد أغنياؤنا . فوزارة المعارف لم تفسح فى ميزانيتها أى مجال لمثل هذه المؤازرة ، لأنها لا تريد على مايظهر أن تضطلع برعاية الحركة الفكرية العامة ، وتريد أن تقتصر دائماً على شئونها الادارية ؛ ولدينا جامعة دينية عظيمة ولها ميزانية ضخمة ، ولكنا لم نسمع أنها تقدمت ذات يوم لمؤازرة أى مجهود علمى حتى فى دائرة مهمتها الدينية ، فلم تساهم قط فى تشجيع المباحث الاسلامية التى تنفق فى سبيلها الجامعات الأوربية مئات الألوف تحقيقاً لمهمتها العلمية ، ولم تساهم قط فى إخراج أى أثر دينى أو عربى جامع ؛ ولم نسمع أنها رتبت جائزة علمية محترمة ؛ ولدينا الجامعة المصرية مازالت تحتفظ بأفقها المدرسى ، وما زالت بعيدة عن أن تخلق ذلك الجو العلمى الذى يمكن أى تنضوى تحت لوائه الجهود العلمية الفردية ؛ ولم نعرف أن الجامعة ساهمت فى تشجيع مجهود علمى فردى ، ولا نعلم أنها على استعداد لذلك ؛ كذلك لم تعرف الجامعة المصرية بعد نظام الجوائز العلمية والأدبية المحترمة ، وإن كانت تعرف كيف تغدق على الأساتذة الأجانب ؛ ولدينا عدة جمعيات علمية تتمتع بالرعاية الرسمية وبأموال الدولة ، ولكنها جميعاً أجنبية فى روحها وعواطفها ، ولا يمكن أن تعتبر بحال ما مصرية ، ولا يمكن أن تضطلع بمثل هذه المهام العلمية المحلية ، التى يجب أن تتوفر لمؤازرتها عاطفة قومية لا توجد فى هذه الجماعات.

على أن هناك لدى جهاتنا الرسمية نزعة أخرى إلى تشجيع الجهود « العلمية » لا يمكن تجاهلها ، ولكنها مع الأسف وقف على الأجانب ؛ ونستطيع أن نحصى عشرات العلماء الأجانب الذين يفوزون بتعضيد الهيئات الرسمية المصرية للقيام بمختلف المهام العلمية أو لأخراج جهودهم ، وهم لا يجدون مشقة فى الحصول على هذه الهبات والجوائز السنية ؛ ولكنك لا تجد مفكراً مصرياً استطاع أن يحظى بهذه الرعاية . ولا ريب أن تشجيع الجهود العلمية مبدأ محمود فى ذاته ، والعلم لا وطن له ؛ ولكنه لا يقتضى الأيثار وحرمان المفكرين المصريين من كل تعضيد ومعاونة ، بينما يرتع العلماء الأجانب فى أموال الأمة المصرية ؛ وما زلنا نذكر الضجة التى قامت منذ أشهر حول المنح المالية الباهظة التى أغدقت على أستاذ انكليزى هو الكبتن كرزويل ، لكى يخرج كتاباً له ولم يخرج منه سوى مجلد واحد ، وكان مجموع الهبات التى استولى عليها من مختلف الجهات الرسمية يبلغ بضعة آلاف جنيه ؛ وهنالك علماء أجانب يتقاضون الألوف المؤلفة من الأموال المصرية لكى يضعوا كتباً معينة ؛ وتطلع علينا هذه الكتب من آن لآخر باللغات الأجنبية ، فلا نراها ترتفع الى مستوى المؤلفات العلمية القيمة ، ولا نرى فيها سوى كتب دعاية ينقصها الطابع العلمى المحترم ؛ وما زلنا نذكر تلك البدعة التى ظهرت فى الأعوام الأخيرة ، وهى انتداب بعض الجهات الرسمية لبعض العلماء الأجانب الذين يؤمون مصر فى الشتاء زائرين متنزهين ، لألقاء بعض المحاضرات ، ومنحهم عن المحاضرة الواحدة مكافآت باهظة تبلغ أحياناً خمسين جنيهاً !

* * *

لقد كانت الرعاية العامة وما زالت أكبر عامل فى تشجيع الحركات الفكرية وازدهارها . ومع أن قسطاً كبيراً من هذه الرعاية تضطلع به الهيئات الخاصة والأفراد النابهون فى الأمم الحية ، فان الحكومات والجامعات وما اليها من الهيئات العلمية الرسمية تقوم بتنظيم هذه الرعاية والسهر على توزيعها حيثما تبزغ بوادر النبوغ . ذلك أن النبوغ يعتبر فى الأمم الحية ثروة قومية تجب المحافظة عليها واستثمارها وحمايتها من عوامل الخمول واليأس . ولقد مرت عصور كثيرة فى تاريخنا كانت الحركة الفكرية فيها تأخذ حظها من الرعاية والمؤازرة ؛ وكان العلماء

والمفكرون يتبوأون أرفع مكانة وتغدق عليهم المنح والهبات الوفيرة لكى يتفتح نبوغهم ويستطيعون العمل فى دعة وسكينة ؛ وكان الخلفاء والسلاطين يأخذون بأعظم قسط فى تشجيع الحركات الأدبية ، وكان من بواعث الفخر أن يكون القصر أو العاصمة ملاذاً لأكبر عدد من الكتاب والشعراء ؛ وكان من زينة العصر والدولة دائماً أن تزدهر الحركات الفكرية فى ظل الرعاية الرسمية ؛ وهاهو ذا الأزهر لم يعاونه على الحياة حتى عصرنا سوى التفات السلاطين اليه وتمهد علمائه وطلبته بالبذل والعون . ولم يكن الملق ، دائماً ، كما هو الشأن فى أيامنا ثمن هذه الرعاية . ذلك أن رعاية العلم والعلماء فى تلك العصور كانت تعتبر من واجبات الدولة القوية المستنيرة ، وكان العلماء يعملون فى ظل هذه الرعاية مستقلين فى الغالب ، ولم يكن يطلب اليهم دائماً أن يكونوا أذناباً أو دعاة للأسر أو الحكومات التى تشملهم برعاية يعتبرونها حقاً عاماً لهم يجب تأديته اليهم .

ومن العبث أن ندعى أن الحكومات والهيئات الرسمية المصرية المختلفة قد استطاعت أن تؤدى هذا الواجب العام أو بعضه نحو رعاية الحركات الفكرية فى عصرنا . والحركة الفكرية لم تفد شيئاً من تلك الدعايات الواسعة التى تذاع حولها ، وتلك المنشآت العقيمة التى تقام باسمها ، والتى يراد أن تكون هياكل فقط تمجد العصر وتنسب اليه ؛ وما نخشاه هو أن الجهات الرسمية ما زالت بعيدة عن تقدير هذا الواجب ، بعيدة عن تأديته . إن النبوغ فى مصر ما زال يعنى الفقر والبؤس ، إذا لم يوفق من تلقاء نفسه الى الخروج من غمرة الظلمات والصعاب التى ينشأ فيها ؛ بل نستطيع أن نقول أكثر من ذلك ، هو أن النبوغ يعتبر فى مصر أحياناً خطراً يخشى منه ويجب اتقاؤه ؛ وعندئذ يشترى لا ليعضد ويزدهر ، بل لكى يسكت ويقبر . أما أغنياؤنا فلن نطمع أن نجد بينهم واحداً يقدر واجباً لا تقدره الحكومة ؛ ومن المحال أن يروا مثلهم الأعلى فى رجال كالفرد نوبل يرون ذخر الانسانية فى صون التفكير الانسانى ، والارتفاع به الى ذرى التقدير والاجلال ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

الشيخ الخالدى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لقيت فى الآستانة منذ خمس سنين شيخاً جليلاً ينقب عن الكتب ، ويتحدث عن نوادرها ، وعرفت أنه الشيخ خليل الخالدى رئيس محكمة الاستئناف الشرعية فى القدس

ثم شرفت بلقائه فى مصر مرات . كان كلما قدم القاهرة تفضل فزارنى فى الجامعة . تقابلنا مرة فتكلم عن الكتب والمؤلفين كلام خبير بحاثة . فحرصت على لقائه والافادة منه فراعنى علم لا ينفد ، وحفظ لا يخطئ

يبدأ حديثه عن الكتب ، فيذكر أنه رأى كتاب كذا فى مكتبة كذا ، ويصف النسخة وماعليها من سماع العلماء ، ثم يتكلم عن قيمة الكتاب ومكانته بين أشباهه ، ويذكر المؤلف فيبين عن تاريخه ومكانته من العلم ، ودرجته بين العلماء ، وهلم جرا ، يفضى من حديث إلى حديث ، والسامع فرح بما يسمع ، معجب متعجب . وقد زار مكاتب الآستانة والأناطول وفينا والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس ، ونقب فيها عن نفائس الكتب ، فأحاط بما لم يحط به سواه . والشيخ حفظه الله منقطع النظير فى هذا الموضوع ما رأيت ولا سمعت بمثله

وهو من أسرة الخالدى إحدى أسر الشام العظيمة ، تنسب إلى سيدنا خالد بن الوليد . وهى معروفة فى التاريخ بأسرة الديرى ، وفيها العلماء والقضاة فى الشام ومصر منذ خمسمائة وخمسين سنة

والشيخ نزيل القاهرة الآن . وقد أسعدنى الجد بلقائه مرات فى شعبان ورمضان هذا . وأرجو أن أسعد أنا وأصدقائى بحديثه مرات أخرى قبل رجوعه الى فلسطين

وقد حرصت أن أكتب عن الشيخ بعض أحاديثه دون أن أشعره بذلك ، فلما اجتمعنا فى حلوان ليلة السبت ثامن رمضان ، سأله بعض الحاضرين سؤالاً فشرع فى حديثه ، فدونت بعض ما قاله إجمالاً ، ثم عدت إليه بعد انفضاض المجلس ففصلته على قدر ما وعيت . وإنى أقدم للقارئ هنا ما حفظته عن الشيخ العلامة فى ذلك المجلس :

سأل أحد الحاضرين عن المدارس ذات المكانة فى التاريخ الأسلامى فقال : المدارسُ النظامية كانت فى بغداد والموصل ، وأصفهان ونيسابور ، ومرو وهراة ، وكان فى نيسابور مئات المدارس : منها المدرسة البيهقية . ومدرسة ضياء الدين فى سمرقند ، وكان يقيم بها صاحب الهداية وشمس الدين الكردلى صاحب مناقب أبى حنيفة ، ومدرسة الأمير مسعود فى بخارى ، ومدرسة قطلغ تيمور فى خورزام ، وهذه البلاد التى ذكرت كانت من مراكز العلم ، ومثلها بخارى وبلخ وفرغانة وجرجان ، وكان ببخارى من معاهد العلم مسجد كوكلتاش ومسجد كلام ، ومن



الشيخ خليل الخالدى فى قصر بنى عباد بأشبيلية سنة ١٣٥١ هـ

رجال مرو : القفّال الكبير والقفال الصغير ، ومشايخ امام الحرمين والبغوى ، والسمعانى ، وابن حنبل . وكان بدمشق مدارس كثيرة ، منها العمرية التى أنشأها أبو عمر بن قدامة . وهو أخو الموفّق أخو قدامة صاحب كتاب المغنى فى مذهب الحنابلة ، وهو اثنا عشر مجلداً . ومنها المدرسة الضيائية ، وكان بها خطوط المحدثين كلهم . وهى منسوبة الى ضياء الدين المقدسى ابن أخت أبى عمر بن قدامة . وقد تخرج فيها ابن تيمية والذهبى ، ومن مدارس دمشق دار الحديث الأشرفية ، وهى دار التحف العربى الآن . وقد درّس بها النووى وابن الصلاح وأبو شامة ، والمدرسة العادلية ، وقد درس بها ابن مالك وابن خلكان ، والمدرسة الرواحية التى تخرج فيها النووى ، وصارت الآن من دور آل الغزى . والمدرسة التى درس بها ابن القيّم ، وهى بقرب بيت العظم . وكانت بيوت العلم فى الشام بنى قدامة ، وبنى تيمية ، وبنى عساكر ، وبنى عبد الهادى ، وهؤلاء من مشايخ الذهبى

ثم انتقل الحديث الى الفخر الرازى ، فقال فى أثناء كلامه : إن الرازى من بنى أبى بكر الصديق ، فتعجب الحاضرون ، فقال : ومن ذرية الصديق أيضاً جلال الدين الداونى ، وعضد الدين صاحب العقائد ، وأبو اسحق الشيرازى ، والفيروز آبادى ، قلتُ وجلال الدين الرومى . قال : نعم وجلال الدين ، وأين جلال الدين من هؤلاء ، قلت : لكل وجهة ، ثم سئل الشيخ عن بنى عمر بن الخطاب فى العلماء فقال : منهم السهرورديون من المتصوفة ، ومنهم الفنرى . وكان فى بخارى جماعة منهم . وكان تيمورلنك يجلهم كل الأجلال ، قال : وصدر الشريعة من بنى عبادة ابن الصامت ، وليس كل من نشأ فى بلاد الفرس فارسياً ، فأبو داوود السجستانى ، والترمذى صاحب الشمائل ، والترمذى صاحب المسند ، وابن عبد البرّ ، كل هؤلاء من العرب ، والحاكم أبو عبد الله النيسابورى من بنى ضبة ، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح ، وأبو القاسم صاحب الرسالة القشيرية من بنى قشير ، والمازرى ، وابن يونس الصقلى ، وعبد الحق الصقلى الذى غلب إمام الحرمين فى المناظرة ، من بنى تميم ، والقاضى عياض من يحصب

ثم ساقه الحديث الى القطب الشيرازى العلّامة المطلق ، وفخر الأسلام البزدوى وصدر الشريعة فأفاض فى الحديث . وقال : لفخر الأسلام البزدوى كتاب فى الأصول منقطع النظير ، حدّث شمس الدين الأصفهانى شارح الطوالع أنه دخل على أستاذه القطب الشيرازى فرأى عنده كراسات على وسادة ، فقال ما هذه ؟ قال : إنى منذ سنة كذا أقرأ كتاب البزدوى ، وأنقل عنه وما أنهيته . ولصدر الشريعة كتاب تعديل العلوم فى المنطق والحكمة والكلام والتصوف والأخلاق . رأيت منه نسخاً كثيرة . وله كتاب التنقيح وشرحه التوضيح

سأل سائل لماذا قلّ أمثال هؤلاء العلماء بين المسلمين اليوم ؟ قال لذلك أسباب : منها أن أسلافنا كانوا يطلبون العلم للعلم لا يبغون من ورائه شهادة ولا منصباً ؛ كان كل منهم يتخذ عملاً يعيش منه ثم يحصل العلم عن جهابذته . ولم تكن أساليب التعليم صناعية آلية كنظام المدارس فى الوقت الحاضر ؛ ومن الأسباب انقطاع الرحلة ، كان سلفنا يشدون الرحال فى طلب العلم لا يفترون ، فيلقى بعضهم بعضاً ، ويأخذ بعضهم عن بعض . الخ . انظر إلى قضاة السلف كيف كانوا يفرّون من القضاء إشفاقاً على دينهم ؟ . هذا أبو على الصدفى أحد قضاة الأندلس ذبح الذبائح وحج شكراً لله على خلاصه من القضاء . ومن القضاة الأباة عظماء النفس ، أهل التقوى أبو بكر بن السليم القاضى الأندلسى ، وله رأى فى الفقه معروف : «أن الانسان إذا اشترى بيتاً فوجد به بقّا فله خيار العيب» ومنهم ابن زر القاضى ، وكان فى عهد المنصور بن أبى عامر . وحسبك بقاض يتعاظم على مثل المنصور . وله كتاب الخصال الكبير والخصال الصغير فى مذهب مالك ، رأيتهما فى مجريط . وقد قيل إن من قرأ الخصال استغنى به عن الكتب الأخرى ، وكان الأندلسيون ذوى همة عظيمة فى تحصيل العلم ؛ كان طلابهم يبدأون بحفظ التسهيل لابن مالك ، ومختصرَى ابن الحاجب فى الفقه والأصول ، هذا عند المتأخرين . وأما من قبلهم فكانوا يحفظون الموطأ ، ومن قبل هؤلاء كانوا يحفظون تهذيب المدونة ، وسلفهم كانوا يحفظون المدونة ، وكان ابن بشكوال يحفظها كلها ، وكان الرازى يحفظ كتاب الشامل لإمام الحرمين ، وهو مجلدان فى علم الكلام . وأرى أن تفوق الأندلسيين كان من عنايتهم بأمهات الكتب . كانوا يقرأون فى النحو كتاب سيبويه ، وأين من كتاب سيبويه كتاب الأشمونى وحاشية الصبان ؟ وقد رأيت فى مكتبة الأسكوريال خط أبى علىّ الشلوبين على كتاب سيبويه يعدّد الكتب التى قرأها فى النحو وكلها من الأمهات . ورأيت فى مكتبة كوبريلى بالآستانة اجازة قاضيخان كتبها بخطه على السير الكبير للسرخسى وعدد الكتب التى درسها فى الفقه . وهى كتب تضمن لقارئها التفقه . أنظر ! أهل الأزهر يقرأون فى الأصول جمع الجوامع ، وليس هو من كتب الأصول القيّمة . — قال بعض الحاضرين : قرأوا كتاب الآمدى فى عهد الشيخ المراغى ثم أبطلوه ، فقال كتاب الآمدى جيد ، وللآمدى كتابان : إحكام الأحكام ، وأبكار الأفكار . وكتاب ابن الحاجب فى الأصول مأخوذ من منتهى السول والأمل للأُرموى ، وهذا مأخوذ من كتاب الآمدى ، والآمدى أخذ من الأدلة القواطع للسمعانى ، وهذا مأخوذ من كتاب الباقلانى ؛ فهذا الأصل الذى لم يؤخذ من غيره . ثم تكلم عن أصول الحنفية وعلمائهم وكتبهم وطريقتهم ، ورجع الى الباقلانى فقال : وكان الباقلانى آية من آيات الله . وقد روى أبو الوليد الباجى أنه كان يسير مع الدار قطنى — والدارقطنى من كبار المحدثين ، فى درجة الترمذى وابن ماجه — فلقيا رجلاً ، فأعظمه الدارقطنى غاية الأعظام وقبّله ، فقال أبو الوليد : من هذا ؟ قال : سيف أهل السنة أبو بكر بن الطيب ، يعني الباقلانى ، وقد رثاه بعض الناس فقال :

انظر الى جبل تمشى الرجال به — وانظر الى القبر ما يحوى من الصلف
وانظر الى صارم الاسلام منغمداً — وانظر الى درة الاسلام فى الصدف

وكان الباقلانى يناظر ابن المعلم فيفحمه . وكان ابن المعلم يوماً فى أصحابه فأقبل الباقلانى ، فقال ابن المعلم : جاءكم الشيطان ، فسمعها الباقلانى فتلا قوله تعالى : ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّاً . وتناظرا مرة ، فلما أفحم ابن المعلم أخرج قبضة من الباقلى ورماها فى وجه الباقلانى ، يعنى بذلك أنه ابن بائع باقلّى . فأخرج الباقلانى درّة من ثيابه ورمى بها ابن المعلم يعنى أنه ابن معلم صبيان ، فتعجب وقال : ما أخبرت أحداً أنى سأرميه بالباقلىّ ، فكيف أعدّ لى هذه الدّرة ؟ — وعقائد الدوانى مأخوذة من عيون المسائل ، وهذه مأخوذة من رءوس المسائل ، وكلاهما للجرجانى ، ورءوس المسائل مأخوذة من جواهر الكلام لعضد الدين صاحب المواقف ، والجواهر من المواقف ، والمواقف مأخوذة من أبكار الأفكار للآمدى ، وهذه عن الباقلانى ، وهذا كما نرى فى فقه المالكية : كتاب أقرب المسالك للشيخ الدردير مأخوذ من كتاب خليل ، وهذا عن كتاب ابن الحاجب عن تهذيب البرادعى عن المدونة . وقد رأيت نسخة من المدونة فى مكتبة القرويين فى فاس بخط عبد الملك بن مسرّة شيخ ابن رشد ، وهى فى ثمانين مجلداً صغيراً ، وكُتب فى نهايتها :

بالله ياقارىء استغفر لمن كتبا — فقد كفتك يداه النسخ والتعبا

كتبه عبد الملك بن مسرة اليحصبى .

وقد ذكر ابن مسرة ابنُ فرحون فى كتاب الديباج وهو من

تطور الحركة العقلية

في شمال أفريقية

للكاتب المستشرق جاستون بوتول

نشرت مجلة « الأخبار الأدبية » (النوفيل لترير) في عددها الأخير مقالاً للكاتب المستشرق جاستون بوتول عن الحركة العقلية في شمال أفريقية هذه ترجمته :

كلما أوغلنا في التاريخ أدركنا أن تونس أو بعبارة أخرى أن تونس — قرطاجنة المعقدة كانت دائماً عقل أفريقية الشمالية. وإنه لقدر غريب : قدر هذه المدينة ، التي كأنها سارية القارة ، والتي هي الحد الفاصل بين شرق البحر الأبيض المتوسط وبين غربه ؛ ولقد كانت دائماً طريق الفتوح العظيمة ، كما كانت مجمع الطرق التجارية الكبرى ؛ وهي أقصى بلد في شمال أفريقية وأقربها إلى أوربا ، ولكنها أقربها إلى المشرق أيضاً ؛ ثم هي أعرقها في الطابع الأفريقي ، لأن السهول الصحراوية التي تفصلها عن البحر في الجهات الأخرى حواجز عالية ، تمتد بلا انقطاع إلى تونس ؛ وأخيراً هي المدينة التي كانت تلتقي فيها النزعات العقلية وتمتزج من جميع الأنحاء

كانت قرطاجنة في الوقت الذي كانت رومة تصارع فيه ما حولها من الظلمات ، قد قامت برسالة عظيمة في المدنية ، واكتشفت غرب البحر الأبيض والبرتغال وساحل أفريقية الغربي . ثم غدت قرطاجنة بعد الحروب البونيقية المدينة الثانية في العالم الروماني ؛ ولما أتمت مراحلها الثلاث أعني البونيقية ، والرومانية ، ثم النصرانية ، دخلت تونس في مرحلتها الاسلامية ، وسرعان ما تفوقت على القيروان وغدت مرة أخرى أهم مراكز الحركة العقلية في المغرب . ولم يكسفها قط بهاء فاس المحدث ، ولبثت تونس هي المركز الذي تزدهر فيه العلوم والفلسفة العربية لآخر مرة ، وكان ابن خلدون ، في فجر الأحياء ، آخر ثمارها العظيمة

أما اليوم فان الموقف أكثر تعقداً ؛ وعلى رغم ازدهار جامعة الجزائر ، ونجاح معهد الدراسات العالية المراكشي في رباط وتقدمه نحو التحول الى شبه جامعة ، فان تونس تبقى مركز التفكير الاسلامي في شمال افريقية . ويكفي لتوضيح خطر هذا الدور أن نقول إن المسلمين يبلغون اليوم في المغرب أكثر من اثني عشر مليونا ، ولكن لا توجد بقعة أخرى غير تونس يزداد عددهم فيها نحو خمسين ألفا كل عام

ويرجع هذا النفوذ الى عاملين : الأول أنه يوجد في تونس أهم وأقدم جامعة عربية ، والثاني أنه يوجد بها أكبر عدد من صفوة المسلمين الذين تلقوا الثقافة الفرنسية . وصحف تونس العربية ، والصحفيون التونسيون هم الذين يوجهون الحركات السياسية والعقلية في الجزائر ومراكش . ومن تونس تخرج الأزياء ، ويخرج القصص والغناء ، وفيها تتألف الفرق التمثيلية أو الموسيقية التي تجوس خلال المغرب

ويضاف الى نفوذ جامعة الزيتونة القديمة ، التي تأخذ اليوم بأسباب التجديد ، نفوذ « الخلدونية » وهي مركز للدراسات التاريخية والعلمية ؛ وقد أسست منذ ثلاثين عاماً على يد بعض التونسيين ، وكلية الصادقي ، وهي معهد غريب تدرس فيه العلوم الحديثة واللغتان الفرنسية والعربية . وقد عقد في اكتوبر الماضي مؤتمر من الطلبة المسلمين في شمال افريقية

وفي ذلك ما يوضح الدور الهام الذي تؤديه تونس في المسائل الاجتماعية التي تعرض في شمال افريقية . ومن العسير أن نحدد

أنفس الكتب . وابن رشد الجد له كتاب البيان والتحصيل في الفقه ستة عشر مجلداً . وقد ضمن لقارئه الاجتهاد . وابن رشد الحفيد الفيلسوف كان في المغرب بمنزلة الرازي في المشرق

ثم تكلم عن محنة ابن رشد في دولة الموحدين وقال : والسلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن كان من العلماء ، كان يحفظ كتاب المحلى لابن حزم — سأل بعض الحاضرين عن رسالة صلاح الدين الى يعقوب بن يوسف فقال هي في كتاب أبي شامة . وكان أبو شامة حافظاً وقارئاً ونحوياً وعالماً في الأصول والفروع . ويشبهه في هذا أبو عمرو الداني . قال بعض الحاضرين هل كانا متعاصرين ؟ قال لا ، أبو شامة توفي سنة ٦٣٢ والداني توفي سنة ٤٤٤ . الخ الخ . ولعلنا نعود فنحدون عنه مجلساً آخر

عبد الوهاب عزام

نزعات الأجيال الفتية في هذه البلاد ؛ ويختلف عدد الشباب المثقف وتوزيعه كثيراً في هذه المناطق ؛ وأظهر هذه النزعات وأشدها تعرضاً للخلافات الظاهرة هي النزعة السياسية ، ولكن هذه الخلافات ترجع دائماً الى ظروف السياسة المحلية ، فهي مؤقتة في الواقع ، فمثلاً كان التونسيون يشكون من إقصائهم عن بعض الادارات ، فلما تقرر منذ أشهر أن يسمح لهم بدخولها انتهت هذه الشكوى

اما النتائج الثابتة ، فهي نتائج التطور العقلي ؛ وهي أهمها أيضاً ، لأنها تتعلق بالمستقبل ، ولا تتقدم إلا ببطء ، ولا يمكن تعديلها أو توجيهها بقوانين المشرع . وقد يستطيع المشرع أن ينتهز بعض الفرص السانحة في حرص وحذر ، ولكن الاختيار النهائي يبقى لأصحاب الشأن أنفسهم

ويوجد في فاس ، كما يوجد في الجزائر وقسطنطينة شباب يتلمس ويتساءل . وقد عفت التقاليد التي كانت تسمح للشباب بأن يندمجوا في الحيـاة بسهولة ، وأضحت لا تلائم الحياة الحديثة ، وعرضت حاجات جديدة ومطالب جديدة ؛ ولكن الشعار الجديد هو أن تبحث وتجد . ويتجه معظم الشباب على الأخص بانظارهم الى تونس ، لأنهم يعرفون أنهم هنالك يتكونون شيئاً فشيئاً بين الأمل والتثبيط

ولهذا ، وعلى الرغم من أن تونس ليست إلا قطعة صغيرة من شمال افريقية ، فانه يجب أن نتتبع بمنتهى الاهتمام مايدور في المجتمع التونسي العقلي ؛ وهو اهتمام يجب أن يقرن بالعطف ، لأن هـذا المجتمع هو الذي يحمل أعباء التعقيد وأزمات الضمير ، وما يترتب حتماً على مثل هـــذا التطور النفسي الهام من أسباب الجزع والاضطراب ؛ ومن هذا المجتمع وحده يمكن أن يأتي حل المسائل الاجتماعية الشائكة التي تعرض للبحث ، وليس من ريب في أن الموقف الذي يتخذه هذا المجتمع يكون ذا أثر قوي في باقي أنحاء البلاد

ونستطيع أن نتكهن بشيء من المستقبل ؛ فقد أثبتت الطبقة المتوسطة التونسية إمكان التطور المتناسق في ظل أفق فرنسي ؛ وقد ظهر فيها مجموعة من الكتاب والمؤرخين والعلماء والصحفيين الذين يكتبون بالفرنسية ؛ ونجد حتى في ظروف الأسرة ، وفي الظروف الاجتماعية ، ما يدل على تسرب الحياة الحديثة بقوة ، وهي حركة اختيارية لأنها تسير حرة دون ضغط ما ، وبعد تأمل عميق

ونستطيع أيضاً أن نقرأ في أمثلة يقدمها لنا الماضي مبلغ التعاون بين المسلمين والنصارى ، فعلى مقربة من تونس وقعت الحالة الأولى والوحيدة في العصر الحديث للتعاون بين هؤلاء وأولئك ؛ ومن الغريب أن ممثلي هـذه التجربة العظيمة كانوا فرنسيين وتونسيين ؛ ففي مملكة النورمان الصقلية التي يعمرها سلالة الفاتحين الأغالبة ، ازدهرت أعظم حضارة في العصر ، واشترك في إنشائها النورمان والمسلمون ، وكانت بالرم يومئذ هي أعظم مجمع بين الشرق والغرب ؛ وكان نجاح هذا التعاون الحر الذي تطاول زهاء قرن ، أشنع فضيحة في العصر ، في نظر المتعصبين من الجانبين

وقد استطاعت العبقرية الفرنسية أن تنسى في العصور الوسطى مجمعاً شديد التناقض من حضارتين خصيمتين في كل مكان ؛ واليوم إذ نستعرض ذلك المركز الذي حفظته لنا تونس القديمة ، نجـد أمامنا جامعة الزيتونة الموقرة — وهي قديمة قدم السوربون — ذات الحنايا المرمرية الجليلة ، تحيط بها حوانيت الـكتب والعطور ؛ ثم نجد مكتبة عظيمة فرنسية على الأخص ، أقيمت في قصر قديم ؛ ثم نجد بعـد ذلك فوق مرتفع يشرف على المدينة كلية الصادق الواسعة التي أخرجت نخبة مختارة من المثقفين العرب ، الذين استقوا أيضاً من الثقافة الفرنسية . وعندئذ نتذكر تلك المقـدمة التي يهدي فيها الشريف الأدريسي أثره الجغرافي الخـالد الى الملك رجار (روجر) الذي عاش الأدريسي في بلاطه ، والتي تبدو فيها ألوان هذا التعاون الذي قام بينهما

هذه كلها أدلة مادية على قيام تعـاون عقلي واضح تقوم به الصفوة ، وإنه ليقع على عاتق المفكرين والجامعة أن يخلقوا تلك البيئة التي تتطور فيها عادة الحياة المشـتركة ، الى رغبة في الحياة المشتركة

جاستون بوتول

(الرسالة) ترجمنا هذا المقال ليطلع قراؤنا على رأي العلماء الفرنسيين في الحركة العقلية في شمال أفريقية ؛ ولسنا نوافق الأستاذ بوتول على بعض آرائه ؛ وعلى الأخص في أثر الثقافة الفرنسية في تونس . والمقصود بشمال أفريقية في هـذا المقال هو البـلاد الغربية التي تسيطر عليهـا فرنسا : أعني تونس والجزائر والمغرب الأقصى . فان من المعلوم أن مصر لا تدخل تحت هذه التسمية ، ولم ينصرف اليها هذا التعبير في أي عصر من العصور

ليلة حافلة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

منذ نحو ربع قرن – فقد صرنا نحسب مسافات الزمن بأرباع القرون ! – مات لنا قريب شاب ، أبوه من سراة الريف ، فرافقنا رفاته على قطار خاص الى البلدة . وكانت العادة فى تلك الأيام أن يظل المأتم قائماً أسبوعاً أو أربعين يوماً ، وكنت يومئذ مدرساً ، وكان الوقت صيفاً ، والمدارس موصدة ، ففى وسعى أن أشاطر القوم حزنهم الى آخر المدى ، فجاءنى يوماً شاب من أقربائى ، وانتحى بى ناحية وأسر الىّ أن أخته تكاد تموت جوعاً ، فعجبت ، فان الخير كثير والطعام وفير ، وما يذبح كل يوم من الخراف والعجول يكفى جيشاً . فأخبرنى أن الموائد توضع ثم ترفع كما هى ، لاتمتد الى ما عليها يد ، وأن أخته تستحى أن تتناول شيئاً ، ولكن نساء البيت بعد ذلك يتسللن الى حجرة قصية فيقبلن على الطعام ويلتهمن منه مالا يحسب الحاسب ، فهن يمسكن عن المطعم علانية ويمترن منه سراً ، وأخته تنظر وتتحسر ، وقد التوت أمعاؤها من الجوع . ثم سألنى :

« والآن ما الرأى ؟ أشر كيف تأمر ! »

فقلت له : « دع هذا لى »

وللشباب جمحاته وحماقاته – ركبت الى مدينة قريبة ، فاشتريت شيئاً من الرقاق الملفوف باللحم ، و « مربى » ، وألواناً من الحلواء ، وأرغفة ، وعدت وأنا أقول لنفسى : « هذا شىء ينفعها إذا نام الليل » ، ولم يكن من السهل أن أدخل البيت ومعى هذا الحمل ، تحت عيون هذا الخلق كله ، وماذا عساى أن أقول إذا سألنى سائل عما لف عليه الورق ؟ لهذا اضطررت أن ألف ، وأدور ، وأختبىء هنا وههنا ، حتى تيسر لى أن أبلغ غرفتى من غير أن يرانى أحد ، وبقى أن أنتظر حتى يقبل الليل ، وتنقطع الرجل ، فأحمل هذه الربطة الى حزيم الدار ، والله المسئول أن يوفقنى الى الوصول الى قريبتنا الطاوية ، وأن يقينى عواقب هذه المجازفة ! وهل أعدم خادمة تدعوها الىّ أو تحمل اليها هذه الرسالة

وجاء الليل ، وقمنا إلى المخادع ، وكان لى فى غرفتى شريك ، فذهبت أدخن سيجارة بعد سيجارة ، حتى علا شخيره ، ففتحت الباب وأرهفت أذنى ، فلم أسمع شيئاً ، فتوكلت على الله ، وأقدمت – أعنى مشيت مترفقاً حتى خرجت من هـذا البناء المهيأ للضيوف ، إلى صحن واسع يفصل حزيم الدار عن نوىّ الرجال . وكان الليل طاخياً ، فلم أزل أتخبط حتى لمست باباً توهمته باب المنزل فدخلت ، ولكني لم أجد سلماً أرقى فيه ، فاستغربت ورحت أدور بالمكان ، ويدى على الجدار ، فكنت أجد أبواباً ، بعضها مفتوح ، والبعض موارَب أو مغلق ، ولكن لا مرقاة ، فقلت أخرج من هذا التيه ، وتركت الجدار واندفعت ، ويداى أمامى لتتلقيا عني الصدمة إذا بلغت حائطاً أو شبهه ، وإذا باللفافة التى معى تلمس جسماً فيسقط منه شيء على الأرض فأفزع ، وأدع اللفافة تهوى ، ثم إذا بواحد يهجم علىّ فأقع ونتدحرج معاً على البلاط ، وهو ممسك برجلى يريد أن ينزعها ، وأنا أدفع فى بطنه ، حتى تخلى عن رجلى فدرت على ركبتىّ ، وقد أيقنت من صمته أنه غريب واغل يتلصص ، وألقيت يدى على عنقه ، فأخذت بمخنقه ، فلكمني بجمع يده فانقلبت على ظهرى وقد تخليت عن رقبته ، فانقض علىّ ، فضربت برجلى فأصبت جنبه ، فمال عني فنهضت على ركبتى وجعلت أضرب بيدى ، ولكن فى الهواء ، حتى لمست رأسه فقبضت على شعره وجذبت بكل ما فىّ من قوة ، فنطحني فى بطني ، فانثنى بعضى على بعض ، فركلني برجله ، فتدحرجت كالكرة . فبدا يريد أن يجهز علىّ ، فأخطأنى وخبط الباب برأسه فكأن قنبلة انفجرت فى سكون الليل ، وإذا بصوت رجل يصيح :

« مين . . . ؟ »

ثم انقطع الصوت ، لأن صاحبه على ما يظهر داس بعض الطعام الذى تبعثر فى المكان ، فتزحلق فوقع على الأرض كالحجر ، وكنت أنا قد نهضت ، ولمست يدى باباً ففتحته ودخلت ، وأنا أسوى شعرى وأمسح وجهى وأنفض التراب عن ثوبى ، وكانت هذه لحسن الحظ غرفتى ، فقد سمعت شريكى فيها يقول وهو يثب عن السرير

« ما هذه الأصوات ! ماذا جرى ؟ »

فقلت – وقد ارتدت الىّ نفسى – « لا أدرى . . . يظهر ان هنا لصاً ، قم لتنظر »

فصاح : « لص ؟ » وأسرع إلى الشباك فنادى

« ياولد ! يا مخيمر ! يا مخيمر ! »

وفتحت الأبواب ، وأطلت منها رءوس النوّام — أو الذين كانوا نوّاما — وكثر اللغط ، وعلت الضجة ، واختلطت الأصوات ، وصار هذا يسأل عن الخبر ، وذاك يدعو مخيمر وغيره ممن نسيت أسماءهم من الخدم ، وثالث يصيح أن هاتوا نوراً ، ورابع يقول أين المصباح ؟ وخامس يسأل محتجاً « أليس مع أحدكم عود ثقاب ؟ »

وفى أثناء ذلك كان الذى وقع قد لامس خده المربى التى انكسر وعاؤها فسالت ، فلم يخالجه شك فى أن قتلا حصل وأن هذا دم القتيل ، فكاد يموت من الرعب ، ولزم مكانه ولم يحاول حتى أن يرفع خده عن المربى ، وجاء مخيمر يحمل بندقيته ، ووراءه كثيرون غيره ، وفى يد أحدهم مصباح ، تقدم به — فى حماية البندقية — وإذا بنا نرى « وكيل » صاحب البيت ، مطروحاً على وجهه ، ويداه ممدودتان ، وخده لاصق بالمربى ، وهو يرفع رأسه وينظر محاذراً ، ثم كأنما اطمأن قليلاً فجعل يطرف ، ويدير عينه ، فيبصر الوعاء وما سال منه ، فيمسح بعضه عن خده وهو ينهض ، فتجمعنا حوله وحففنا به ، وجعل بعضنا ينظر إلى بعض مستغرباً متأففاً ، منكراً على هــذا « الوكيل » الشره ، ألا يكون له همٌّ سوى بطنه ، وأن يزعجنا فى لحمة الليل بهرْسِه ومحاولته أخفاء ما يأكل

ونظر إليه صاحب البيت نظرة سخط واشمئزاز ، وقال له :

« ماهــذا ؟ مربى ، ورقق ، لم أكن أعرف انك مبطانٌ نهمٌ إلى هذا الحد ؟ ؟ وقليل الذوق أيضاً ؟ حلواء فى مأتم ! فهلا انتظرت حتى ينفض المأتم ؟ ؟ أم شامت أنت بى ؟ لعنة الله عليك وعلى والديك ! قم . . . قبحك الله ! ولا ترنى وجهك ! »

فهمَّ الرجل بأن يقول شيئاً ، فقد كان مظلوماً ولا ذنب له ، ولكن سيده أبى أن يسمع والتفت إلينا وقال :

« إن هذه فضيحة والله ! الخير كثير والحمد لله ، وفى وسعه أن يأكل ما شاء ، ويشبع ، اذا كان يمكن أن يشبع ، فانظروا ماذا صنع ؟ وبأى شىء يجزينى وقد ربيته وكفلته ولم أزل به حتى جعلته وكيلاً لى . وأميناً على أملاكى ! ! يشترى حلواء ومربى ورقاقاً ليأكلها خفية فى مأتم ابنى ! ! اخرس يا كلب ! ولك وجه تقابلنى به يا كافر النعمة ! والله لولا أنك حقير لأفرغت فى قلبك الآن الرصاص . امش . . اخرج من عندى . . »

فقلت : « شىء فظيع ! »

وارتددت إلى غرفتى ساخطاً

* * *

ولبثنا ساعة نمزق أديم هــذا الوكيل الشره الجحود الذى يأبى إلا أن يأكل حلواء فى مأتم ابن سيده ! وأصبح الصباح فاستأنفت ألسنتنا هجوه وذمه . وكنت أشعر بعطف عليه ومرثية له ، ولكنى لم أكن أستطيع أن أذكر الحقيقة فأحوّل الى نفسى كل هذا اللعن الذى ينصب على رأسه . ودنا منى الشاب قريبى الذى كان سبباً فى كل هذا ، وسألنى همساً : « أتعرف حقيقة ما حصل أمس ؟ »

قلت : « لا . ولا أزال مستغرباً ما كان من هذا الوكيل »

قال : « إنه مظلوم ! »

قلت : « يا شيخ ! كيف يمكن أن يكون مظلوماً وقد رأيناه بأعيننا ؟ »

قال : « والله إنه لمظلوم ! »

قلت : « ربما يا أخى ! العلم عند الله ! »

قال : « فينا من يكتم السر ؟ »

قلت : « لا تخف . إن صدرى بئر لاقرار لها »

قال : لقد احتلت حتى جئت بشىء من اللحم والخبز ، ولففته فى ورقة ، وكنت أريد أن أصعد به الى أختى بالليل ، ولكنى اصطدمت فى الظلام بواحد كان يريد أن يقتلنى . . . »

فقلت مستغرباً : « يقتلك ؟ لماذا ! »

قال : لا شك أن هذا كان قصده ، فقد كان همه أن يقبض على عنقى ويضغط ، وكان يحرص على الصمت حرصاً شديداً ، وعندى دليل آخر : ذلك أنه لم يكد يسمع صوت الوكيل يصيح « مين » حتى اختفى فجأة ! »

فسألته : « وماذا منعك أن تستنجد ؟ »

قال : « وأفضح نفسى ؟ ماذا يقولون عنى إذا رأوا معى هذه الأطعمة ؟ لقد كان كل همى أن أتخلص وأرتد الى غرفتى

قلت : « وكيف خطرت لك هذه الفكرة السخيفة ؟ »

قال : « ليست سخيفة . إنها طبيعية ، أول مايخطر للمرء »

الحكم الأدبي

بقلم السيد محمد نوفل

لا تختلف الآراء، وتتشعب المذاهب اختلافها وتشعبها في الآثار الأدبية، فهذا يرضى عن قطعة أدبية يضيق بها الآخر، وذاك يعجب بمعاني قصيدة يراها غيره مرذولة . . . ومن العسير أن ترجع بمخالفك في مسألة فنية عن رأيه ما دام يستطيع إلى الدفاع عنه سبيلاً . ولا عاب في هذا، إنما العاب في ألا يخلص الناقد للحقيقة في بحثه، وينَدفع مع الهوىَ في رأيه

وليس من شك في أن للوهم أثراً بيناً في الأحكام الأدبية، فالكاتب الذي يرفعه الجد إلى مرتبة الشهرة يستجيذ جل الناس ما يصدر عنه، إن جيداً وإن رديئاً، ولا يكادون يستمعون لاعتراض معترض عليه أو لنقد ناقد له، بينما المغمور يلاقي من عنت الناس وإرهاقهم الشيء الكثير . بل ندر أن يخرج الأديب من غمرة المجتمع ويحتل مرقباً بارزاً فيه بغير يد مشهور يقدمه إلى الجمهور بصوته المسموع، بعد أن ينثر عليه درر المدح ويكسوه حلل التقريظ .. ومن أوضح الأمثلة لهذا ما لقيه الكاتب الكبير جولدسمث، فقد ذاق البؤس أعواماً مكث فيها يعرض آثاره الأدبية القيمة والناس يعرضون عنها حتى ألف قصته التمثيلية البارعة « تمسكنت فتمكنت » She Stoops to Conquet وصار يقدمها إلى مديري المسارح وهم يرفضونها إلى أن أيده الله بزعيم الأدب في عصره الدكتور جونسون، فعرضها عرضاً جميلاً وأثنى عليها بالذي هي أهله، فكان تمثيلها وإعجاب الجمهور بها واستمرار عرضها أياماً عدة، وبدأ ظهور نجم جولدسمث، وكان هذا رداً قوياً على بعض مشاهير الكتاب السكسونيين الذاهبين إلى أن الإنسان سيد نفسه وليس للمقادير تحكم فيه . . .

ولعل إمام البيان الجاحظ كان يرى هذا الرأي حينما نصح لمن يريد مزاولة الأدب أن يعرض ثمرة عقله على العلماء « في عرض رسائل أو أشعار أو خطب » لمشاهير أهل البيان، فإن رأى الأسماع تصغى له والعيون تحدج إليه، علم أنه ذو موهبة أدبية واستمر في سبيل الأدب وإلا انصرف عنه إلى غيره مما ترتاح له طبيعته، ولا تشق عليه مزاولته . نعم كان الجاحظ يرى أن للوهم تأثيراً في الحكم الأدبي، وإن لم يوفق إلى طريقة سديدة يختبر بها الناشئ في الأدب نفسه، فإن الوهم الذي يصرف العلماء عن الحكم له لخموله هو بعينه الذي سيصرفهم عن الحكم على غيره لشهرته، وكان الأولى أن يرشده الجاحظ إلى هذا الناقد الذي يتجرد من المحاباة وينظر إلى ما يقال لا إلى من يقول، ولا يحكم سوى عقله الصائب وخبرته الأدبية

ولكن الجاحظ الذي أخفق في هذا الموضع — وما أقل ما يخفق ! — كاد يدلنا على هذا الناقد الذي يصح أن يعتمد عليه، ويركن في الأحكام الأدبية إليه، حينما تعرض لشرح موقف الجمهور في المفاضلة بين بليغين[1] فذكر أن الناس في هذا ثلاثة رجال: رجل يعطي كلامهما من التعظيم والتبجيل على قدر مالهما في نفسه وموقعهما من قلبه، ورجل يتهم نفسه فيسرف في اتهام من يعظمه خشية أن تكون منزلته عنده قد خدعته في أمره، فالأول يزيد في حقه لما له في نفسه، والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه . أما الذي في استطاعته أن يقدر المعاني حق قدرها ويعطي للأشياء قيمتها الحقيقية فهو العالم الحكيم المعتدل المزاج القوي

(١) ج ١ ص ٧٦ — البيان والتبيين

قلت : « وهل كان من الضروري أن تجيء بعربي وحلواء ؟ »

قال : لم أجيء بها . وهذا هو اللغز الذي يحيرني . »

قلت : فمن أين جاءت إذن ؟ الوكيل طبعاً ! »

قال : « لا أصدق . لقد كان خارجاً من غرفتي لينظر ما الخبر »

قلت : « صحيح . الحق معك »

قال : إذن من أين جاءت ؟ »

فصحت به : « وهل أنا أعرف ؟ ألا يكفي فزعنا بالليل حتى تحطم لي رأسي بالنهار ؟ »

فاعتذر ومضى عني

وسعى الوكيل بعد أيام أن يسترضي سيده

والغريب أن قريبي نسي أني وعدته أن أنقذ أخته، ولو تذكر لعرف من أين جاءت المربى والرقاق، ولأدرك أن الذي اشتجر معه في الظلام لم يكن قاتلاً متربصاً، وإنما كان قريبه

إبراهيم عبد القادر المازني

المنة الوثيق العقدة الذى لا يميل مع مايستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكثر

ولكن هل العلم وقوة المنة ، والتجرد من الوهم هي كل شيء في الحكم الأدبي ؟ أو بعبارة أخرى ، هل من تتحقق لهم هذه الصفات تتشابه أحكامهم الأدبية ، ولا تتباين آراؤهم الفنية ؟

الحق أن هناك عوامل أخرى تعمل في تكوين الحكم الأدبي ، وبقدر وجودها كاملة أو منقوصة تكون قوة الأحكام الأدبية وضعفها وهي : —

أولا : الاستعداد الذاتي — فهناك فضائل في الانسان يصح اعتبارها مواهب فطرية ، كخصب القريحة وصفاء الذهن ودقة النظر ومرونة الطبع . فمن المؤكد أن بعض العقول تستفيد أو يظهر أنها تستفيد في أيامها الأولى أكثر من غيرها ، كما يظهر أنها أكثر انتباهاً ويقظة ، وأحفظ لما تستفيد من الجزئيات ، وأقدر على تكوين كل منها ، وعلى حفظها متفرقة كما هي ، ثم أقدر على تهيء أنفسها للاجابة على مطالب الوجود الجديدة والحكم على المسائل المستحدثة ، وآية أن هذه الصفات فطرية لا اكتسابية هو أنها قد تتهيأ للمتعلم كما قد تتهيأ للأمي ، وقد يحظى بها الهمل كما قد يحظى بها المثقف ، ولكن لا ننس أن هذا الاستعداد ليس صفة ثابتة كصلابة المعدن مثلاً ، بل يعظم بالمران حتى أنه في استطاعة صاحب الاستعداد تقوية استعداده الى درجة كبيرة تضؤل بجانبها حاله الأولى

ثانياً : النقل بأوسع معانيه — فقل من يستفيد من شعوره وتفكيره الذاتيين ، ولكن معظم الناس يستفيد خبرته ممن حوله ، وهذا النقل يبتدىء مع الانسان من يوم ميلاده ، حتى إن علماء التربية ذهبوا الى أن الطفل يتعلم عن طريق حاسة اللمس في أيامه الأولى . ويروى صامول سميلز Samuel Smiles « أن أماً سألت قساً عن الوقت المناسب لتربية طفلها الذى كان عمره حينئذ أربع سنين فأجابها : « لقد فقدت هذه السنين إن كنت لما تبتدئ في تربيته »

ولكن الواقع أن تربيته قد بدأت بالفعل ، وإن توهمت أمه غير ذلك ، فالطفل يتعلم بالمحاكاة البسيطة ، وهذا التكوين الأولى لخلق الطفل يلازمه طيلة حياته . ومن هنا صح قول ملتون milton « الطفولة عنوان الرجولة كما أن الصبح عنوان النهار » ويقوى هذا النقل ويعظم بالتربية المدرسية والاطلاع على أحوال الأجيال الغابرة ، وتعرف الآداب الماضية والحاضرة

وهذا العامل مع ما سبقه في تنازع مستمر وتجاذب دائم وهذا التنازع هو الذى يفرق بين الناس ، فمنهم ضعيف الاستعداد الذاتي ، مستسلم لما ينقل لا يرى رأياً جديداً ، ومنهم ناقد لما يختار وقلما يرى رأى غيره ، ولا يراه إلا بعد تدقيق وتمحيص . وعامل النقل ظاهر الأثر في الحكم الأدبي ، فرأى القارىء في قصيدة مثلا مرتبط بكيفية معرفته المعاني العرفية المتعددة لكلماتها وتصورها ، وبكيفية ائتلاف هذه المعاني في ذهنه ، وبالحد الذى تضبط اليه خبرته الذاتية العامة المعنى المركب الذى ألفته هذه المعاني الجزئية . وهكذا فما يأتي في ذهن القارىء نتيجة مجموعة مبهمة من التأثيرات الخارجية

ثالثاً : سلامة الفكر أو النزاهة — وهذه الصفة هي التي تجعل الحكم محكماً وتربط بين العقول ، أو بعبارة جامعة تجعلنا انسانيين . وأصدق التعاريف لها هو « تقدير كل الاحتمالات الممكنة ، وعدم ترجيح أحدها إلا بمرجح » فأى قصيدة مثلا تقدم نفسها الينا على أنها محتملة مقاصد كثيرة ، وهذه الاحتمالات ميادين صالحة للمران العقلي ، وقد يؤثر بعضها في بعض ، وما دامت هذه الاحتمالات تنال نصيباً من عنايتنا فان أحكامنا تكون نسبياً في مأمن من الزلل ، ونحن حين نفرض كل الاحتمالات الممكنة نكون أكمل في معنى الانسانية البعيدة عن التحيز منا حين نستبد بفرض واحد بعينه ثم نلتمس له البراهين . ثم الرأى القائم على النزاهة لا يكاد يتسرب اليه الوهن ، لأننا قبل الأخذ به نفند ما عداه من الآراء

رابعاً : فهم صاحب الأثر المنقود — وهذا يكون بتعرف خلقه وما فيه من لين وقسوة وقوة وضعف . فأدب القوة ينتجه أديب قوى ، وأدب الضعف ينتجه أديب ضعيف ، ولا عيب على كل منهما من الناحية الأدبية ، فما عيب من يصدر عنه ما يمثل نفسه ؟ أما أن يطابق الأدب المثل العليا أو لا يطابقها فهذه مرتبة ثانية

والأمة التي تريد أدباً قوياً ، عليها أن تعمل على تكوين أدباء أقوياء ، وإلا كانت كمن يتطلب في الماء جذوة نار . . . ثم لا بد مع هذا من قراءة أعظم قدر من بيان الأديب المنقود ، حتى يألف الناقد أسلوبه في التفكير وطريقته في الأداء

ولكن لسوء الحظ ينسى الكثيرون هذه العوامل فيتوهمون

أنه ليس فى الموضوع شيء خارج عن ذات القصيدة الواحدة التى يقرأها القراء فيصورونها صوراً مختلفة ، ولكن الحق هو أن اختلافهم بالقياس إلى هذه العوامل هو سبب اختلافهم فى كل شيء ، حتى تفسير القصيدة وتعيين مدلولات مفرداتها فيه مجال واسع للاختلاف بين القراء تبعاً لاختلاف مؤهلاتهم الخاصة ، فمن قرأ كثيراً من شعر شاعر فهم ألفاظه فهماً مخالفاً لفهم من لم يقرأ له أو قرأ قليلا . وهكذا فكيفية فهم القارىء للقصيدة مثلا يتوقف على استعداده الذاتى وكيفية ترقيه ، وكيفية حيازته للمعانى الاجتماعية الموروثة والفرص التى تهيأت له لاستخدام هذه المعانى منسقة ، والبيئة التى نشأ فيها وحاكاها ، وتنازع استعداده الذاتى والنقل السيطرة على فكره وغلبة أحدهما للآخر ، وما يعرف من خلق صاحبها وشعره ، ولأن الحكم الأدبى يتوقف على هذا كله كان أكثر الأحكام تعرضاً للزلل وأقربها من الخطأ ووجب على من يتعرض له أن يحذر حذراً تاماً ؟

السيد محمد نوفل
بكلية الآداب

توماس كارليل

نظره الى التاريخ

للأستاذ محمود محمود محمد

« ليس التاريخ العام فى روحه ومغزاه — تاريخ ما أحدث الانسان فى هذا العالم — إلا تاريخ عظماء الرجال الذين ظهروا فى هذه الدنيا ، فقد كانوا أئمة ، وكانوا مثلاً وكانوا قدوة لغيرهم ؛ بل كانوا مبدعين لكل ما مارس الانسان من أعمال ، وكل ما حقق من أمانى . إن كل ما نراه قائماً فى هذا الوجود كاملا متقناً إنما هو نتيجة مادية محسوسة ، وتحقيق عملى مجسم لكل ماجال فى رؤوس أولئك الرجال من أفكار ، أولئك الرجال الذين هبطوا الى هذا الوجود فكان تاريخهم بحق هو لحمة التاريخ وسداه »

بهذه العبارة يفتتح كارليل كتابه « الأبطال وعبادة البطولة » فيلخص لنا نظريته فى التاريخ . يرى كارليل أن الفرد هو كل شيء ، وأن قادة الشعوب هم خالقوها ومكيفوها ، يؤثر الفرد فى الجماعة ولا يتأثر بها . والبطولة فى نظره تتقمص فى فحول الرجال على صور شتى ، فالرسول والشاعر والكاتب والمصلح والفيلسوف كل هؤلاء من طينة واحدة ، ليس بينهم من خلاف ، اللهم الا فى الهيئة التى يكتسون والأسلوب الذى ينتحون « ويصح لنا أن نعتبر أمثال هؤلاء الرجال من فصيلة فوق البشر ، فصيلة غير آدمية ، فكلهم رسول مبعوث الينا برسالة خاصة من الأبدية المجهولة ، من الحقائق الباطنة للأشياء ، لاتحجبها عنه أباطيل الناس ، وكيف ذلك والحقيقة تسطع على عينيه حتى يكاد يعشى لنورها ... الرجل العظيم مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون ، وهو جزء من الحقائق الأولية للأشياء » لاتعميه عن واجبه جهالة عصره أو نقص فى نفسه ؛ هو يرى الى الحقيقة الثابتة ، الى الحقيقة الحية . ومن هذا الحق يستمد قوته ، والى هذا الحق تصغى الجماهير ، رسالته أبدية مثمرة « وأعمال الرجال ! خبئها تحت رواسى الجبال ، أو فى أعشاش البوم ، فهى لاتموت ولن تموت »

ويرى كارليل أن الناس مسوقون بطبيعتهم الى عبادة البطولة « وأن الاعجاب بمن هم أعلى منا إدراكاً لأسمى شعور يتردد فى الصدور ، وليس روح الوجود وحياة الشعوب وكيان الجماعة الانسانية إلا خضوعا للعظماء وعبادة لأفكار العظماء »

وهذا الشعور كامن فى الانسان فى كل زمان ومكان حتى فى هذا العصر الحديث الذى تحاول فيه الانسانية أن تتخلص من سلطة الزعماء وتقيم الديمقراطية مكان الديكتاتورية كلما اتسع المجال وأتيحت الفرص

لم يكن كارليل مبتدعاً فى الرأى حين رفع البطولة الى هذا المقام وقدسها هذا التقديس ، فقد سبقه الى ذلك هيجل الفيلسوف الألمانى إذ كان يقول : إن وراء كل أمة أو عصر أو مدنية « فكرة » تسيرها . هذه الفكرة هى السمة الكبرى لذلك العصر أو تلك المدنية ، منها تتفرع واليها تنتهى جميع مناحى التفكير من فلسفة أو دين أو فن أو أخلاق . هذه « الفكرة » عند هيجل هى « روح البطولة » عند كارليل . ومن ثم نرى أن كارليل كان أشد وضوحاً وأدق تعبيراً من صاحبه الألمانى ، وقد

أراد أن يزيد وضوحاً ويتخلص من غموض « الفكرة » تماماً ، فجسد « روح البطولة » فى شخص « البطل » فانتقل بذلك من المعقول الى المحسوس ، ومن الفكرة المجردة الى الحقيقة الملموسة

ومع ذلك فان كارليل لم يتخلص من تجريد الفكرة تماماً فان هذا « البطل » ، هذا « الكائن الحى » الذى تتجسد فيه الفكرة هو فى ذاته معنى مجرد تتجمع فيه فروع الحياة الشتيتة . البطل فى نظر كارليل يمثل المدنية التى يعيش فيها ، ورأى البطل نبراس يهتدى به بنو عصره . فلو أردنا معرفة تاريخ عصر من العصور بحثنا عن زعيمه وقائده . ولا يريدنا كارليل فى دراسة هذا الزعيم أن ندرس تاريخ حياته ومجراها وإنما واجبنا أن نحلل آراءه ومعتقداته حتى نستطيع أن نفهم مدنية العصر الذى نشأ فيه بمظاهرها المختلفة ، لأن المدنية – كما كان يرى – كل لا يتجزأ لها مرمى واحد ومعنى واحد

روح البطولة هى رائد التاريخ ومنشأ المدنيات ، ومجددة الحياة الانسانية ، وما دامت كذلك منبع كل حركة فلا ينبغى أن نفهم التاريخ إلا عن طريقها وبوساطتها . ليضع علماء الاجتماع ماشاءوا من القواعد والقوانين ، وليضع رجال السياسة ما شاءوا من نظم ودساتير ، وليفرض علينا المؤرخون ما شاءوا من أسباب تسير هذا العالم ، فليس الانسان بكائن جامد تكيفه قاعدة ، ويعبر عنه بقانون ، وإنما هو روح حى يفكر ويشعر ويتأثر ، يخضع لافذاذ الرجال كلما ظهروا برغم كل قانون

وأحسن مثال يتمثل فيه بكل جلاء ، نظر كارليل للتاريخ كتابه عن « كرومويل » . أراد كارليل أن يؤرخ البيورتيانية ، فكتب عن كرومويل زعيمها الأكبر ، وحامل لوائها تاريخاً مفصلا تكاد حين تقرأه تسمع كلمات الرجل ونبرات صوته وتتخيل صورته ورسمه . يعرض عليك المؤلف صورة واضحة يضعها أمام ناظريك لتبلغ من قرارة نفسك بقدر ما فيها من قوة وتأثير ، ولا يفرض عليك رأياً بعينه ولا فكرة بذاتها ، يعرض عليك الحقيقة مجردة من غير تعليق ، فلا ترى المؤلف ولا أثراً من نفسه ، كان البيورتان يتطلعون الى إنشاء حكومة على دينهم ومبادئهم فوجدوا فى كرومويل الرجل الذى تتجسد فيه ميولهم واهواؤهم ، فوضعوه على رأس حكومتهم ورضوا به حاكما مستبداً ، ذلك لأن كرومويل بطل تتمثل فيه آراء جيل كامل وأمة بأسرها

كان كارليل يرى فى كرومويل مثلاً للبطولة الحق ، وينظر إلى الثورة الانجليزية التى قام بها نظرة الأعجاب ، لأنها كانت تقوم على أساس دينى متين ، ولكنا نجده فى كتابه عن « الثورة الفرنسية » لا ينظر بعين الرضا الى هذه الثورة لأنها لم تخضع لزعيم واحد يمثلها ويسير بها الى الأمام ، كما أن فلسفتها كانت فى صميمها غير دينية ، اندفع فيها الفرنسيون وراء غرائزهم الوحشية وعملوا على إشباع شهواتهم البهيمية واحلال الفوضى محل النظام

وظاهر أن كارليل لم يكن عادلا فى حكمه هذا . نعم كان فى الثورة الفرنسية كثير من الوحشية والهمجية ، ولكنا لا نستطيع أن ننكر أن فيها خيراً كثيراً ، وأنها وإن تكن ثورة غير دينية إلا أن الفلسفة التى كيفتها كانت تنطوى على كثير من المبادئ القديمة ، وإذا كانت الثورة الأنجليزية قد خدمت انجلترا فان الثورة الفرنسية قد خدمت العالم أجمع ، وما تزال تخدمه الى يومنا هذا

وكما انقلب كارليل على الثورة الفرنسية لخروجها على الدين ، فهو كذلك ثائر على انجلترا الحديثة لأهمالها هذا الجانب الهام فى حياتها العامة ، ثائر على هذه الديمقراطية الواسعة التى تفسح المجال لكل من هب ودب ليكون ذا رأى محترم وقول مسموع ، وليس من سبيل الى خلاص البلاد إلا بعد أن تسلم زمام أمورها لزعمائها غير منازعين

* * *

وهنا نقف عند هذا الحد من بسط آراء كارليل فى البطولة وأثرها فى التاريخ ونسائل أنفسنا : هل كان كارليل مصيباً حينما رفع أفذاذ الرجال الى هذا الحد من القوة وهذه المكانة من التقديس ؟

إن من يتصفح تاريخ الحياة وتقدمها يرى أن الانسانية فى كل عصورها تنقسم الى شطرين : رعية كبيرة وطائفة قليلة من الرعاة ، تدق هذه الرعية أمامها ، هؤلاء الرعاة هم أدوات التقدم الانسانى وهم عظماء الرجال الذين يمثلون الآداب والآراء التى هى على اختلافها وتباين فنونها ومنازعها بمثابة ظواهر اجتماعية أكثر منها ظواهر فردية ، أى إنها أثر من آثار الجماعة والبيئة أكثر من أن تكون أثراً من آثار الفرد الذى رآها ونشرها بين الناس .

وإذا كان الأمر كذلك فليس من الحق في شيء أن ننسى الجماعة التي هي المؤثر الأول في ظهور الآداب والآراء والفلسفة، ونقصر عنايتنا على الفرد الذي كان مظهراً لهذه الآداب وتلك الآراء فنمحو الجماعة محواً ونهملها إهمالاً، إذ الفرد لم ينشئ نفسه وإنما الجماعة كلها متعاونة متضافرة على تنشيئه وتربية عقله وجسمه وشعوره، فهو صورة منها وظاهرة من ظواهرها. الفرد مدين بلغته ودينه وخلقه الى الجماعة، إذن فليس من البحث العلمي القيم في شيء أن نقدس الأفراد كل هذا التقديس ونحتقر الجماعة كل هذا الاحتقار. وأنا لو صورنا لأنفسنا طائفة من أوساط الناس متوسطي الذكاء ليس لهم مواهب خاصة ولا عقلية ممتازة قد رحلوا الى جزيرة جرداء ليس فيها أثر من آثار المدنية ولا عمل من أعمال الانسان أدركنا بسهولة كيف يظهر سريعاً من بينهم المخترع والفيلسوف والسياسي والقائد، ولا يلبثون أن يعيدوا في خلال جيل أو جيلين تاريخ التقدم الانساني كله، ويصبح هؤلاء الأوساط صورة مصغرة من نيوتن ووطسن وكرومويل ونابليون وغيرهم، لأنهم في حياتهم الأولى كانت تعوزهم الفرصة التي أتاحتها لهم الجزيرة الجرداء، فظهرت عبقرياتهم بعد أن كان مقضياً عليها بالموت والفناء

ويتبين لنا من هذا أن الانسانية لا تتقدم بظهور الرجال، وإنما يظهر الرجال لأنها تريد أن تتقدم، وفي علم الحياة نظرية ثابتة تقول إن الوظيفة تخلق العضو ولا يخلق العضو الوظيفة، فالانسان لا يمشي لأن له قدمين، وإنما له قدمان لأنه أراد أن يمشي، ولا ينظر لأن له عينين ولكنه ذو عينين لأنه أراد أن ينظر

ومن يتدبر التاريخ ير أن الانسانية تعتريها فترات من الجمود تعقبها النهضات التي تظهر فيها الشخصيات البارزة، ولا تعلل هذه الظاهرة إلا بأن الظروف الاجتماعية والزمنية في فترات الجمود تخالف مثيلاتها في فترات النهضات، فالأولى لا تدعو إلى ظهور الرجال بينما الثانية تتطلب الرجال العاملين وتخلقهم خلقاً. فاذا صح لنا أن نقول إن النهضة أوجدت أبطالاً لا يصح أن نقول إن الأبطال أوجدوا النهضة

ولكن كارليل أراد أن ينزههم عن البشرية ويرفعهم الى مصاف الآلهة...

محمود محمود محمد

٦ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثاني

كريتون أو واجب المواطن (١)

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط ـ ماالذي أتى بك الساعة يا كريتون ؟ إنها الآن جد باكرة

كريتون ـ بلى إنها لكذلك

سقراط ـ كم هي على التحديد ؟

كريتون ـ الفجر في البزوغ

سقراط ـ عجيب أن يأذن لك حارس السجن بالدخول

كريتون ـ إنه يعرفني يا سقراط لأنني جئت مراراً ، ولأنني فوق ذلك ذو فضل عليه

سقراط ـ أجئت الآن تواً ؟

كريتون ـ كلا بل جئت منذ حين

سقراط ـ إذن فما الذي أجلسك صامتاً ، وكان أخلق بك أن توقظني على الفور ؟

كريتون ـ حقاً يا سقراط إني لم أكن لأرضى لنفسي كل هذا الغم والأرق ، ولكني أخذت بالعجب أن رأيتك في نعاس هادئ ، فلم أرد لهذا أن أوقظك ، وآثرت لك أن تظل بعيداً عن الأسى ، لقد عرفتك دائماً سعيداً بما لك من مزاج هادئ ، ولكني لم أر الدهر ضريباً لك في احتمالك لهذا المصاب مستخفاً باسماً

سقراط ـ إن الانسان يا كريتون إذا عمر ما عمرت فلا ينبغي له أن يجزع من شبح الموت

كريتون ـ ولكن سواك من الكهول ، إذا ما نزلت بهم أشباه هذه الكوارث لا يمنعهم الهرم من الجزع

سقراط ـ قد يكون ذاك ، ولكن هلا حدثتني عما أتى بك في هذه الساعة الباكرة ؟

كريتون ـ أتيت أحمل نبأ مؤلماً يبعث على الشجن ، لا بالنسبة إليك فيما أظن ، بل بالنسبة لنا جميعاً ـ نحن أصدقاءك ـ وهو عندي أبلغ ما يكون إيلاما

سقراط ـ ماذا ؟ أحسب أن قد عادت السفينة من ديلوس (١) ووصولها نذير بموتي ؟

كريتون ـ كلا ، لم تبلغنا السفينة بعد ، ولكنها ربما وصلت اليوم ، فقد أنبأني أناس جاءوا من صونيوم ، أنهم خلفوها هناك ، وإذن فآخر يوم من حياتك يا سقراط هو الغد

سقراط ـ مرحى يا كريتون ، إن كانت هذه إرادة الله فمرحباً بها ، ولكني أعتقد أن سيؤجل الأمر يوماً آخر

كريتون ـ ومن أنبأك هذا ؟

سقراط ـ هاك الخبر . إني بالغ أجلي في اليوم التالي لوصول السفينة

كريتون ـ نعم ، وهذا ما يرويه أولو الأمر

سقراط ـ ولكني لا أظن السفينة بالغتنا إلا غداً . عرفت ذلك من رؤيا رأيتها ليلة أمس ، بل كنت أراها الآن تواً ، حين تركتني ـ لحسن حظي ـ نائماً

كريتون ـ وكيف كانت رؤياك تلك ؟

سقراط ـ جاءتني شبيهة امرأة جميلة وسيمة ، تدثرت بثوب أبيض ، وصاحت بي قائلة : ياسقراط ، إنك ذاهب إلى أخراك في اليوم الثالث غداً من الآن

---

(١) لايعلم على وجه الدقة إن كان هذا الحوار قد وقع بهذا النص الذي أثبته أفلاطون أم اخترعه اختراعاً ، ومهما يكن من أمر فقد صور أفلاطون سقراط في هذا الحوار ، لا في رداء الفيلسوف الذي يؤدي في حياته رسالة إلهية ، ولكن في صورة ابن الوطن الصالح الذي يقبل على الموت رضى النفس مطمئن الضمير ، تنفيذاً لقوانين الدولة ، التي يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت في قضائها جائرة كما هي الحال في قضيته

(١) قد كان للأثينيين شهر حرام ، يمتنع فيه إعدام المجرمين ، وهو شهر كانت تمضي فيه سفينة مقدسة إلى معبد ديلوس ، ثم تعود ثانية ، فلم يكن يجوز أن ينفذ الموت في احد من أبناء أثينا ما دامت تلك السفينة في رحلتها تلك . ولذلك كان لابد لسقراط بعد الحكم عليه أن يظل في سجنه حتى تعود السفينة

كريتون ـ ما أعجبه من حلم ياسقراط !

سقراط ـ معناه ظاهر يا كريتون ، وليس فيه مجال للريب

كريتون ـ نعم إنه جلي غاية الجلاء ، ولكن ، أواه ! ياعزيزي سقراط ، دعني أتوسل اليك مرة أخرى ، أن تأخذ بنصحي فتعمد إلى الهروب ، لأنك إذا مت فان أفقد فيك صديقاً فريداً وكفى ، ولكن ثمت فوق ذلك شراً : سيزعم من لا يعرفك ولا يعرفني من الناس أني كنت أستطيع لك النجاة لو أنني رغبت في بذل المال ، ولكنني لم أعبأ بك ، أفيمكن أن يكون بعد هذا العار عاراً ـ أن يقال إني آثرت المال على حياة صديق ؟ وهيهات أن يقتنع الدهماء بأني أردتك على الفرار فرفضت

سقراط ـ وفيم العناية بحديث الدهماء ياعزيزي كريتون ؟ سترى الفئة الصالحة في ذلك رأياً صواباً يطابق ما وقع ، وهي وحدها جديرة بالاعتبار (١)

كريتون ـ ولكنك ترى ياسقراط أن رأي الدهماء لا بد من اعتباره وذلك ظاهر في قضيتك أنت ، ففي مقدورهم أن ينزلوا أفدح المحن بمن لم يظفر عندهم بالرضى كائناً من كان

سقراط ـ ليتهم يستطيعون ذلك يا كريتون فذلك كل ما أرجوه ، إذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير ، فيكون ذلك منهم جميلاً . ولكنهم في حقيقة الأمر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء ، وليس في مقدورهم أن يصيّروا الرجل حكيماً أو فدماً ، وكل أفعالهم وليدة المصادفة

كريتون ـ نعم ولست منازعك في ذاك ، ولكن هلاّ تفضلت فأنبأتني ياسقراط — إن كنت لا تغض النظر عني وعن سائر أصدقائك فيما تصرف من الأمر — : ألست تخشى أنك إن فررت من هذا المكان فقد يصيبنا النمامون بالضر بسبب اختطافك ، وإنا قد نفقد أملاكنا كلها أوجلها ، أو قد ينزل بنا من الشر ما هو أشد من ذلك هولاً ؟ فليطمئن قلبك إن كان ذلك ما تخشاه ، فواجب حتم علينا أن نخاطر بهذا ، وبما هو أعظم من هذا في سبيل نجاتك ، فاقتنع إذن بما أقول ، وافعل بما أشير

(١) يعبر سقراط في هذا عن رأيه الذي أخذ به في حياته ، وهو ألا يعير رأي الناس التفاتاً ، وألا يصغي إلا إلى ما يمليه العقل الحكيم دون سواه كائناً ما كان وقعه عند الناس

سقراط ـ نعم يا كريتون ، وليس هذا الذي ذكرته كل ما أخشى ، وإن يكن جانباً منه

كريتون ـ لا تخف . إن هناك نفراً يود لو ينجيك فينتزعك من غيابة السجن ، ولن يكلفهم ذلك شططا ، أما النمامون فهم كما ترى لا يشتطون في الطلب ، ويقنعهم من المال قليله . إن مالي بأسره رهن إشارتك ، وهو كافٍ فيما أعتقد ، فان أشفقت أن ينفد كله ، فهاهم أولاء نفر من الغرباء يمدونك بما يملكون ، وهذا أحدهم سمياس الطيبي قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغاً من المال . وذلك سيبيس وغيره كثيرون ، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم ، إذن فلا تحسب لذلك حساباً ، ولا تتردد في تنفيذ الفرار . ولا تقل كما قلت في المحكمة إنك لاتدري ماذا عساك أن تفعل بنفسك إن فررت ، فأنّى حللت نزلت من الناس منزلاً كريماً ، وليس ذلك قاصراً على أثينا ، فثمت في تساليا ستجد من أصدقائي حماية وتقديراً إن أحببتَ الذهاب اليهم ، ولن تصادف بين بني تساليا جميعاً فرداً يصيبك بالأذى ؛ ولست أرى بعد هذا كله ما يبرر لك ياسقراط أن تفرط في حياتك ، والنجاة ميسورة مستطاعة . إنك لتلعب بنفسك في أيدي أعدائك وقاتليك ، بل إني لأزعم فوق هذا أنك إنما تسيء الى أبنائك ، لأنك آثرت أن ترتحل تاركهم لما قسمتْ لهم حظوظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشيئهم وتربيتهم ، فان لم يصبهم ما يصيب اليتامى عادة من قضاء ، لما استحققت عندهم من الشكر إلا قليلاً ، فليس لانسان أن يقذف في العالم بأطفال لا يحب أن يستميت حتى النهاية في إطعامهم وتربيتهم ، ولكنك تختار أيسر الأمرين ، فيما أظن ، لا أحسن الأمرين وألصقهما بالرجولة ، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة في أفعاله جميعاً . حقاً إني لأستحي منك بل من أنفسنا نحن أصدقاءك ، كلما دار بخلدي أن قصتك هذه جميعاً ، ستنسب الى نقص في بسالتنا ، فما كان ينبغي أن تكون المحاكمة ، أو كان يجب أن تختم بغير ما ختمت به ، وهذه النهاية التي أراها أسوأ العبث ، ستبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحاً ، لما أبديناه من ضعة وخور ، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك ، كما كان بوسعك أن تنجو بنفسك ، لو كنا نملك لأي شيء نفعاً (إذ لم

يكن الفرار أمراً عسيراً) وسيُظن ياسقراط أنا لم نقدر أن ذلك كله سينقلب علينا وعليك بؤساً وعاراً ، ففكر إذن فى الأمر إن لم تكن قد اعتزمت بعد شيئاً ، فقد انقضت فرصة التفكير ولم يعد لديك إلا أمر واحد يجب إنجازه هذا المساء ، لو كنت تريد له إنجازاً ، فان أرجأت أمرك تعذر واستحال ، وعلى ذلك فأنا أتوسل اليك ياسقراط أن تسلس لى القياد وأن تفعل بما به أشير

سقراط – أى عزيزى كريتون ! ما أعز حماسك وما أنفسه ، لو كان فى جانب الحق ، أما إن كان للباطل فكلما ازداد الحماس اشتمالاً ازداد الأمر سوءاً ، فلننظر إذن إن كانت هذه الأعمال واجبة الأداء أم ليست كذلك ، فقد كنت دائماً ، وما أزال ، من تلك الطبائع التى تلتزم دليل العقل ، كائناً ما كان رأيه ، مادام يبدو عند التفكير أنه الرأى الأمثل . أما وقد أصابتنى هذه المحنة فلا يسعنى أن أهمل الآن ما ارتأيته قبلاً ، فما زالت مبادئى التى طالما أجللتها وقدستها ؛ تنزل عندى منازل الاجلال والتقديس[1] . فثق أنى لن أظاهرك فى الرأى ، اللهم إلا إذا اهتدينا الآن إلى مبدإ يكون خيراً منها . نعم ، لن أصغى إليك حتى ولو زادنى الدهماء حبساً ومصادرة وموتاً ، ملقين فى نفوسنا من أراجيف الشياطين المفزعة ما نرهب به الأطفال ، فأى سبل التفكير أهدى إلى بحث هذا الموضوع ؟ أعَوْداً إلى رأيك الذى سقته من قبل عما يقول الناس عنا ، وبعضه يستحق الاعتبار دون بعض كما سبق لنا القول ؟ أكنا نصيب لو أننا أخذنا برأيك (وهو أن يقام وزن لما يقول الناس) قبل الحكم بالأدانة ؟ أم هل ينقلب الرأى الذى كان صائباً حيناً ما ، كلاماً لمجرد الكلام ، ويتبين أنه لم يكن فى الواقع إلا عبثاً اتخذ سبيلاً للتسلية واللهو ؟ ابحث معى هذا يا كريتون : أترى أن لم يعد منطق الذى اتخذته أولاً يلائم على أية حال ما يكتنفنى الآن من ظروف ، أم لست ترى الأمر كذلك ؟ ثم هل هو حقيق عندى بالرفض أم بالقبول ؟ إن كثيراً ممن يزعمون لأنفسهم رجاحة الرأى يذهبون فيما أعتقد إلى هذا الذى أشرت اليه من قبل ، وهو أن من الناس بعضاً يجدر بآرائهم الاعتبار ، وأما بعضهم الآخر فلا يصح أن يؤبه له . وأنك يا كريتون لست مقبلاً غداً على موت ، أو ليس هناك احتمال بشرى بهذا على الأقل ، فأنت إذن حَكَمٌ صالح ، لا يؤثر فيك الهوى ولا تميل بك ظروفك وموقفك عن جادة الحق . حدثنى إذن : ألستُ مصيباً فيما أزعم ، بألا نقدر من آراء الناس إلا بعضها فقط ؟ لقد أخذتُ بهذا الرأى ، وأنا أسائلك هلاَّ ترانى قد أصبت فيما ارتأيت ؟

كريتون – ليس فى ذلك ريب

سقراط – ألا يجب أن نحفل بما يقوله أبرار الناس دون شرارهم ؟

كريتون – بلى

سقراط – وما يرى الحكماء فهو خير ، وما يرى غير الحكماء فهو شر ؟

كريتون – لا شك فى ذلك

سقراط – لننظر ما قيل فى غير هذا الموضوع ، هل يطلب إلى طالب التمرينات البدنية أن يصغى إلى القدح والثناء ، وإلى رأى كل انسان فيه ، أم يجب أن يستمع الى رأى رجل واحد فقط – هو طبيبه أو مدربه كائناً من كان ؟

كريتون – إنه يستمع الى رأى رجل واحد فحسب

سقراط – أينبغى أن يخاف اللوم وأن يرحب بالثناء يوجهه ذلك الرجل وحده ، وألا يأبه للوم الناس ومدحهم ؟

كريتون – بدهى ما تقول

سقراط – ويجب أن يعيش ويُدَرَّب ، وأن يأكل ويشرب ، على نحو ما يبدو صالحاً لذلك المعلم الأوحد ، وهو عليم بأمره ، فذلك أجدى من السير تبعاً لما يراه سوى معلمه من الناس ولو كانوا أجمعين ؟

كريتون – هذا حق

(يتبع) زكى نجيب محمود

(١) يشير سقراط بهذا الحديث إلى المحاورات الكثيرة التى عقدها هو وأصحابه قبل محاكمته حول ما يجب على الانسان من حيث علاقته بالمجتمع ، وكانوا قد انتهوا من تلك المحاورات إلى طائفة من المبادئ أقروها جميعاً ، وخلاصتها أنه لا يجوز لانسان أن يفعل الشر ، أو أن يرد الشر بالشر ، أو أن ينقض الحق مهما كانت الظروف . فهو هنا لا يرضى لنفسه أن يهدم تلك المبادئ التى أقرها هو ومحاوروه بحجة أن ظروفه تقتضى منه ذلك

زواج الشاعر

للأديب حسين شوقي

(س) شاعر شاب تزوج منذ عام زوجة من الريف ، لأنه كان يريد فتاة ساذجة طاهرة الجسم والعقل — وذلك ما يندر في المدن الكبرى — يستطيع أن يصوغها على ما يلائم ذوقه الفني ، وما يتفق ومثله العليا . . .

عاد (س) بالفعل من الريف بالزوجة المنشودة ، إلا أنه وجد من الصعوبة في تكوينها ما وجده آباؤنا في نحت الجرانيت ؛ لأن الفتاة كانت ساذجة جداً . . . ثم وجد مع الأسف أنها أقل عاطفة من فتيات المدن وهي بنت الريف التي نشأت وترعرعت بين الحدائق والزهور . . . فإن حب الفتاة لشاعرنا كان حباً ضئيلاً جداً إذا قيس بحبه لها ، لأن الشاعر احتفظ بطهارة قلبه طوال شبابه من أجل هذا اليوم المشهود (مع استثناء بعض جولات في الغزل البريء) فكان ما به من احتياطي الحب قد يعادل ما في خزائن بنك فرنسا من احتياطي الذهب ... أما قلب الفتاة فكان أشبه بجليد « الأسكيمو » . . .

ولما كان (س) شديد الأحساس كمقياس الحرارة ، فإنه كان يتألم من الحركات والاشارات غير الموفقة التي كانت تأتيها زوجه كي تغطي حبها الضئيل له ... ولشدَّ ما كان الشاعر شديد الاشفاق عليها من أجل هذا . . !

انقضى عام على زواج الشاعر ، فخرج بهذه المناسبة الى الخلاء يشكو همه الى الأطيار والأزهار ، أصدقاء الشاعر الحقيقيين . . .

جلس الشاعر هناك على بساط من الخضرة ، ثم أخذ يستعيد في ذاكرته حياته الزوجية خلال العام المنصرم ، فأحسَّ من جرَّاء ذلك بهم شديد وحزن بالغ . . . فكم من حوادث محزنة وقعت خلال تلك السنة !

إنه ما زال يذكر مع الأسف والحسرة تلك الليلة التي اتفق فيها الزوجان على الذهاب الى المسرح ليشهدا رواية مشهورة . . . إلا أن الزوج مرض في اللحظة الأخيرة ، فقال عندئذ من باب المجاملة لزوجه ، وقد ظن أنها ستبقى بجانبه لتمريضه وتسليته : اذا شئت فاذهبي أنت يا عزيزتي الى المسرح . . سأطلب م . . (صديق الشاعر) في التليفون ليأتي فيصطحبك . . ولشد ما كانت خيبة أمله كبيرة حينما أجابته : حسن . . سأذهب مع م . . بعد أن أقيس حرارتك لأطمئن عليك ! أرادت الزوجة بقولها هذا أن تظهر اهتمامها بجسمه . . . ولكن هل فكرت في قلب الشاعر المسكين ؟

وفي ليلة أخرى ذهب الزوجان الى حفلة رقص . . . فلما عزفت الموسيقى بلحن « الدانوب الأزرق الجميل » الذي كان الشاعر يحبه حباً جماً ، ذهب من فوره الى حيث كانت تجلس زوجه ليطلب منها أن ترقص معه هذا الدور ، فاعتذرت اليه لارتباطها بوعد سابق ! مع علمها بحب زوجها الشديد لهذا اللحن . . . وكان قد أهدى اليها قبل الذهاب الى الحفلة وردة بيضاء حلَّت بها صدرها . . . فافتقدها أثناء الحفلة فلم يجدها على صدرها ، فسأل عنها وقد ظن أنها سقطت منها أثناء الرقص ، إلا أنها أجابته بكل سذاجة : الوردة ؟ إن صديقتي البارونة ل . . أظهرت إعجابها بها فأعطيتها إياها ! كاد الشاعر يموت في تلك الليلة من الغم . . .

وفي مرة أخرى سافرت زوجه الى الريف تعود أمها وكانت مريضة مرضاً خطيراً . . ومكثت هناك أسبوعين لم ترسل اليه خلالهما إلا كتابين قد احتويا على عواطف تشبه تلك العواطف الأنموذجية الموجودة في كتب « برليتز » للتمرين والترجمة ! . . وفي يوم عودتها من الريف ، بدلاً من أن تقضي السهرة على انفراد مع زوجها بعد تلك الغيبة ، دعت بعض الأصدقاء الى السينما لمشاهدة الممثلة جريتا جاربو في فلمها الأخير

بينما كان الشاعر يعيد هذه الحوادث في مخيلته إذ به يسمع تغريد عصافير على شجرة ، فرفع الى الشجرة نظره ، فاذا به يبصر عصفورين على غصن ، متعانقين في شوق وحنان ، عندئذ سقطت دمعة كبيرة على خد الشاعر ، ثم نظر في ساعته فوجد أنه قد تأخر في نزهته ، فبادر بالعودة الى المنزل ، لأن زوجه كانت قد دعت بعض الأصدقاء للاحتفاء بمرور عام على زواجهما السعيد ؟

كرمة ابن هانئ — حسين شوقي

من الأدب الأندلسي :

٤ ـ التوابع والزوابع

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

أتينا في المقال السابق على آراء ابن شهيد في شخصية الأديب، وقلنا إنها آراء صائبة لم يسبقه اليها أحد في العربية، ونريد في هذا المقال أن نستجلي آراءه في الآثار الأدبية، فنتعرف المظاهر التي اعتبرها مسباراً لبراعة الأديب الفنية، واتخذها مقياساً لقوته في الصناعة، وقد اعتبر ابن شهيد لذلك عدة مظاهر دلّ عليها في مواضع متفرقة من «التوابع والزوابع»؛ وأول مادل عليه من هذه المظاهر: المعنى السامي البديع، يختال في اللفظ المشرق السمح. فالأديب عندا بن شهيد لا يبلغ الشأو ولا يستحق اسم الصناعة إلا «بتعمّد كرائم المعاني، وتقحم بحور البيان . . . فيمتطي الفصل، ويركب الحد، ويطلب النادرة السائرة، وينظم من الحكمة ما يبقى بعد موته» ولعل من المعلوم أن قضية «اللفظ والمعنى» كانت من القضايا التي طال فيها جدال النقاد الشارقة، واختلفوا في الأخذ بها بعضاً وكلاً، فاعتبر بعضهم اللفظ وحده مظهراً لبراعة الأديب وقوته، ذلك لأن المعاني مطروحة أمام الناس، فالبليغ من أجاد صياغتها، وأحسن سبكها. واعتبر آخرون المعنى فحسب، فالأديب لا يفضل الأديب ولا يفوقه إلا بجدة أفكاره وغزارة معانيه، ثم استقر الرأي على الجمع بين شقي القضية، فأصبحت براعة الأديب تستجلي في ألفاظه ومعانيه، وأصبح الأديب لا يبلغ منتهى البراعة والقوة «إلا بتعمد كرائم المعاني وتقحم بحور البيان» كما يقول ابن شهيد

وابن شهيد يحب الازدواج في الكلام، ويرغب في المماثلة والمقابلة، ولكنه يكره التزام السجع، ويراه أفناً لا يليق بفارس البيان، ومن العجيب أنه مع ذلك كان يلتزم السجع كثيراً في أسلوبه، وكأن الرجل قد توقع الاعتراض عليه من هذه الناحية، فأراد أن يعتذر عن نفسه، فزعم أنه التقى بعتبة بن أرقم شيطان الجاحظ [1] فشهد له بأنه خطيب وحائك للكلام مجيد، ولكن لامه على غرامه بالسجع، فقال ابن شهيد يردّ عليه: «ليس هذا — أعزّك الله — جهلاً مني بأفن السجع، وما في المماثلة والمقابلة من فضل، ولكني عدمت ببلدي فرسان الكلام . . .» ثم ينطلق في الانتقاص من معاصريه فيزعم أنهم لغباوتهم لا يفقهون الأزدواج ويكبرون من قيمة السجع، فاضطر أن يسجع حتى يحرك من نفوسهم، ويلج بكلامه إلى قلوبهم، فيقول عتبة: إنا لله، ذهبت العرب وكلامها، ارمهم بسجع الكهان فعسى أن ينفعك عندهم، ويطير لك ذكر فيهم. وهذه معذرة إن صحت لا نقبلها من ابن شهيد، فليس من حسن الرأي أن ينحرف الكاتب عن طريقة يراها سديدة إلى أخرى مستهجنة ليظفر بالرضى من بعض الناس، وإنما الكاتب العبقري هو الذي ينتهج طريقه ويدع الأذهان تتبصر مسالكه؛ وتتبين خطواته فتترسم سيره، وتأخذ أخذه . . .

ولكن ابن شهيد يعود ليستدرك على قضية «اللفظ والمعنى» مظهراً آخر من مظاهر البلاغة، فيرى أن هناك «صوراً من الكلام تملأ القلوب وتشغف النفوس، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده، ولجمال تركيبها وجهاً لم تعرفه، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير الحسن . . . وذلك كقول امرئ القيس:

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عالي

فهذه الديباجة إذا تطلبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده!! ولكن لها من التعلق بالنفس والاستيلاء على القلب ما ترى . .»

وهذا كلام حمله ابن شهيد على ما اشترطه في شخصية الكاتب من قوة الطبع وصفاء الروح كما سبق بيانه، ومعنى هذا الكلام أنك إذا تأملت بعض الصور الكلامية الرائعة لا تجد لروعتها أصلاً من جزالة اللفظ أو طرافة المعنى، بل قد تكون سهلة التناول قريبة الغور، ولكن روعتها ترجع الى ما يكمن فيها من القوة الروحية للكاتب، وأكثر ما تتجلى هذه القوة في كلام الله «حين يتحدث ذو الجلال عن ذاته وصفاته، وقدرته وقوته، وجلاله وعزته، ولطفه ورحمته، وناره وجنته، ووعده ووعيده،

(١) ذكر ابن شهيد أنه التقى بشيطان الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وكثير من شياطين الكتاب والخطباء، وهذا اختراع منه، وإلا فالشياطين لم يعرفوا إلا للشعراء

وإنذاره وإعذاره ، وقد كان لهذه القوة الرائعة الأثر الأقوى في رياضة العرب واجتذاب نفوسها نحو الإسلام ، وهي التي كانوا يشعرون بوقعها من غير أن يعلموا كنهها (١) » . ومن العجيب أنك تقرأ الأبيات من الشعر العالي أو النثر البديع فتشعر بهذه القوة رائعـــة ظاهرة تكسو الكلام جلالاً وجمالاً ، فتحاول أن تعبر عنها كما يجب فتجد نفسك عاجزاً مقصراً ، ذلك لأن قوة الكلام لا ترجع في هذه الحال الى الألفاظ والمعاني ، وإنما هي ترجع الى ما فيه من القوة الروحية ، وقد أخذ بعض الكتاب المعاصرين هذه الفكرة عن ابن شهيد ، وتبنّاها لنفسه ، وادّعى أنها انحدرت من عقله على قلمه ، وهاجم بها الباقلاني في أقواله في إعجاز القرآن ، وجادل بها الكتّاب والنقاد الذين تصدوا للرد عليه ! !

وثمت مظهر آخر من مظاهر القوة والبراعة عند الأديب في رأي ابن شهيد ، وهذا المظهر هو التفنن في توجيه الخطاب بحيث يكون على وفق أقدار المخاطبين ، والتصرف في إيراد القول بحيث يكون من السهولة أو القوة على حسب ما يقتضيه المقام ، وقد ذكر ابن شهيد هذه المسألة وهو يشرح ما كان يقع له مع الشحاذين في قرطبة ، وكيف كان يعينهم بشعره على نيل مآربهم ، فقال : « وربما لاذ بنا المستطعم باسم الشعر ، ممن يخبط العامة والخاصة بسؤاله ، فيصادف منا حالاً لا تتسع له في كبير مبرة ، فنشاركه ونعتذر له ، وربمـا أفدناه بأبيات يتعمد بها البقالين ومشايخ القصابين ، فاذا قارفت أسماعهم ، ومازجت أفهامهم ، درّ حلبهم ، وانحلت عقـــدهم ، وجلّ شخص ذلك البائس في عيونهم ، فما شئت إذ ذاك من خبزة وثيرة يحشى بها كُمه ، ورقبة سمينة تدسُّ في مخلاته ، وتينة رطبة يسدّ بها حلقومه . . فلا يكاد البائس يستتم ذلك حتى يأتينا فيكب على أيدينا يقبلها ، وأطرافنا يمسحها ، راغباً في أن نكشف له السر الذي حرك العامة فبذلت ما عندها له ، وبادرت برفدها اليه . وتعليمه ذلك النحو من الشحذ لا نستطيعه ، لأن هذا الذي يريد منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب ! ! ولكل ضرب من الناس ضرب من الكلام ووجه من البيان . . » .

وقد سبق أبو هلال العسكري ابن شهيد الى تقرير هذه الحقيقة بعبـارة أصرح وأوضح فقـال في كتابه الصناعتين : « وينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقـامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات ، واعلم أن المنفعة مع موافقـة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ... فان كنت متكلماً أو احتجت الى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخطب ، أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد ، فتخط ألفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض واللون والتأليف والجوهر ، فان ذلك هجنة . وكذلك كن أيضاً إذا كنت كاتباً »

ولعـل بشار بن برد كان أول من دلّ على هـــذه الظاهرة واستعملها في شعره من حيث كان الناس يعيبونه بها ، فقد جاء في الأغاني بسنده أن بعضهم قال : قلت لبشار إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت ! قال وما ذاك ؟ قلت بينا تقول شعراً يثير النقع وتخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غضبنا غضـــبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ... ذرى منـــبر صلى علينا وسلما

تقول :

ربابة ربة البـيت ... تصب الخل في الزيت
لهـا عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال بشار : لكلٍّ وجه ، وموضع الأول جِدٌّ ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض ، فهذا عندها أحسن من « قفا نبك ... » عندك

وصدق بشار فيما قال ، فان البليغ هو من يحوك الكلام على حسب الأماني ، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني ، وقد تكون هناك مواقف للقول يطلب فيها الأسفاف ، ويحلو فيها التبذل ، فيكون باقل في عيه وفهاهته ، أفصح من سحبان في تشدقه وزغاته ، ويقيني لو أن بشاراً توجه في الخطاب الى جاريته بلغته في الفخر والحماسة ، لدلّ على الحماقة في طبعه ، والسقم في ذوقه ، ولربما ظنت هذه الجارية أنه يشتمها ، فكانت تمنعه بيض دجاجها ، وتحتم عليه أن يشتري البيض من السوق ، فلا يفيده تقعره ، ولا ينفعه شعره ،

(١) الزهرات للشيخ عبد الله عفيفي

٤ ــ بين القاهرة وطوس

طهران

للدكتور عبد الوهاب عزام

استرحنا بقية اليوم وزرنا بالليل دار المفوضية المصرية ، ومرّ وزير المعارف فترك بطاقاته للمندوبين ، ووُزّع عليهم منهاج المؤتمر وأوراق أخرى فيها دعوات إلى حفلات كثيرة ، وعرفنا من المنهاج أن أيام المؤتمر والحفلات خمسة عشر يوماً من الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٤ - ١٢ مهرماه سنة ١٣١٣) إلى يوم الجمعة عاشر رجب . ومن ذلك ستة أيام في طهران ، وثلاثة في مشهد ، وستة في الطريق بين طهران ومشهد ذهاباً وأوبة . وقد سُجل في بيان أعضاء المؤتمر اثنان وأربعون من ممثلي الأمم المختلفة ، ومثلهم من الايرانيين . ومندوبو الأمم عشرون ثماني عشرة أمة بينها من أمم الشرق : مصر والعراق وتركيا وأفغانستان والهند واليابان

وفي اليوم التالي بدئت أعمال المؤتمر بمدرسة دار المعلمين في بهو فسيح صفت فيه مقاعد كثيرة ، صفوفها الأولى لأعضاء المؤتمر والأخرى للحضار من غيرهم . ووضع في صدر المكان تمثال للفردوسي ، ومنصة الرياسة ، ومنصة الخطابة ، واستمر اجتماع المؤتمر خمسة أيام : وكان الموعد من الساعة التاسعة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر . وزيدت جلستان في مساء اليومين الثالث والرابع لكثرة مريدي الكلام من الأعضاء . وقد تكلم زهاء أربعين قليل منهم من الايرانيين ، وترك بعض الايرانيين الكلام ليفسحوا مجال القول لضيوفهم

افتتح المؤتمر فروغي خان رئيس الوزراء ، ولجنة الآثار القومية ، فشكر الوفود باسم الأمة الايرانية ، والحكومة ، ولجنة الآثار على ما أجابوا الدعوة وتحملوا مشاقّ السفر ، وأبلغهم سرور جلالة الشاه بقدومهم ، وأنه سيقابلهم في طوس ، وقال :

« يقول الشيخ سعدي « إن السفر لا يطول على قاصد الحبيب[1] » وإنما أجاب السادة الفضلاء دعوة الفردوسي . وإذ كان الداعي هو الفردوسي أمكن أن نقول : « ليس في السفر الروحي بُعد المنازل »[2] ونحن مواطني الفردوسي الذين عهد إلينا شرف الترحيب بكم نيابة عنه ، نعرف أنكم كنتم على يقين مما تلقون من المشقات الجسمانية ، ولكن أرواحكم الكبيرة الكريمة قلبت المحنة راحة بهمتها العظيمة . وأولت إيران يداً لا تُنسى . أجل قد حملتمونا المنن العظيمة ، ولكن كان لكم الحق فيما حملتم أنفسكم من مشقة ، فان الفردوسي إن تعلق بإيران جسما فهو ابن الانسانية روحا ، بل أقول إذا أذنتم لي : إنه من آباء الانسانية . وبعد ، فقبيح أن يتصدى جاهل مثلي تعريف علماء أمثالكم بالفردوسي ، فمن الخير ألا أشغل أوقاتكم النفيسة ، وأن أفسح المجال لأعمالكم المفيدة »

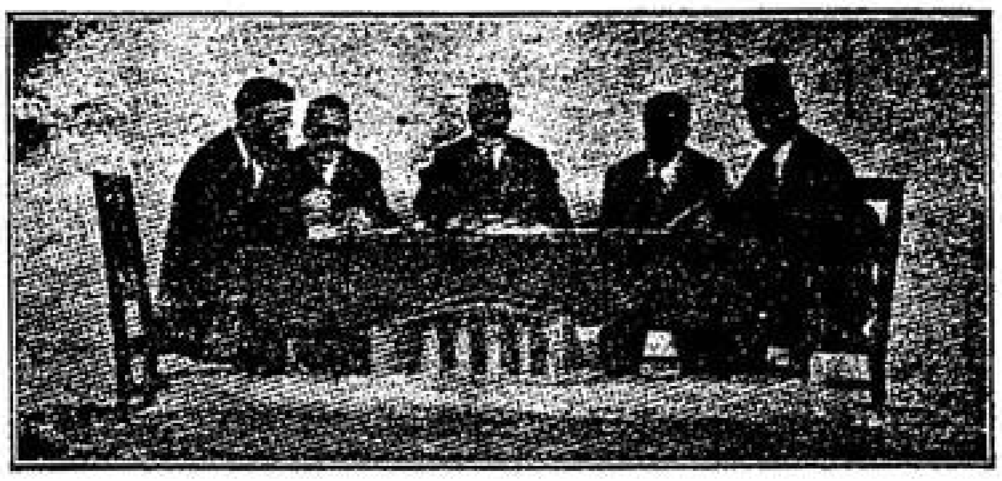
ثم أعلن افتتاح المؤتمر ، وأخبر أن علي أصغر حكمت كفيل وزارة[3] المعارف سيتكلم بالفرنسية ، لأن بعض الحاضرين لا يعرف الفارسية . فتكلم كفيل المعارف مبدياً سرور الايرانيين وشكرهم للعلماء الذين وفدوا للمشاركة في حفلات الفردوسي ثم قال :

« إن اجتماع هذا العدد من العلماء على اختلاف الأوطان دليل قاطع على ما قيل من أن العلم والأدب لا وطن لهما . فحيثما لمع نور هذه الموهبة الالهية اتجهت إليه النفوس المستعدة ، والأرواح

(١) سفر دارز نباشد بپاى طالب دوست
(٢) بعد منزل نبوَد درسفر روحانى
(٣) كفيل الوزارة هو القائم بأعمالها

فمن القصور أن يلتزم الشاعر أو الكاتب نمطاً واحداً في التعبير لا يتعداه ، فيكون في جده كهزله ، ومن الهذيان أن يتعنت في توجيه الخطاب ، فيكون في كلامه إلى أهل الثقافة والمعرفة كما هو في كلامه إلى ذوي الفهاهة والعي ، وإنما الطبع القوي هو الذي يواتي صاحبه في كل طريق يسلكه ، والذوق السليم هو الذي يقضي عليه بتوجيه الخطاب على مقتضى الحال ، حتى يستطيع من وراء ذلك أن ينال غرضه عند المخاطب ، وأن يصل إلى قرارة نفسه في يسر وسهولة ، فلو انتهج الأدباء هذه الخطة التي أوضحها ابن شهيد ، ولو علموا أن لكل ضرب من الناس ضرباً من الكلام ووجهاً من البيان ، لأمكنهم أن يغزوا نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم بأفكارهم وأساليبهم ، وأن يخلقوا الأحساس الفني في نفوس الجمهور على مرّ الزمن

محمد فهمي عبد اللطيف



من اليمين الى اليسار : الدكتور عبد الوهاب عزام . الحاج محتشم السلطنة اسفنديارى رئيس المؤتمر . الأستاذ كريستنسون نائب الرئيس . الأستاذ هنرى ماسى سكرتير

المشتاقة كالفراش ، فيرون أنفسهم فى هذه المرآة المشتركة بينهم ويقولون : كنا متحدين ، كنا جوهراً واحداً ، كنا بغير أجسام ورءوس ، كنا جوهراً وضاء كالشمس ، وكنا صافين كالماء . فلما تصور هـذا النور الجميل ظهرت أعدادنا ظهور الظلال على الشرفات (١)



المؤتمر فى احدى جلساته ، ويرى على اليمين تمثال الفردوسى وقد ظهر من خلفه الدكتور عبد الوهاب عزام وأمامه الأستاذ هنرى ماسى

ان اهتمام الأمم العظيم بعيد الفردوسى الألفى ، واحتفاءها به فى بلادها ، وإرسال فضلائها إلى قبر شاعر ايران برهان على أن الأمم لا تختلف فى الحقائق على رغم ظواهر الأمور . إن بين الأمم اختلافاً فى السياسة ، والاقتصاد ، والتجارة ، والمعيشة ، والآداب والعادات — اختلافاً جعل العالم الحاضر ماديا ملؤه الشرور والآفات ، ولكن كلما لاحت للناس الأمور المعنوية والفوائد العلمية والأدبية امحت هذه الاختلافات ، وتجلى الوفاق والوئام — ثم بين كفيل المعارف أن الاشتراك فى مثل هذه الأمور أحسن وسيلة إلى التقريب بين الأمم ، وقال : لذلك أفتخر بأن أقول إن اهتمام الأمة الايرانية بعيد الفردوسى ، ودعوة الأمم إلى المشاركة فيه يعد فى الحقيقة خطوة إلى التفاهم الحقيقى بين الأمم وان يكن فى ظاهره ذا مقصد أدبى وتاريخى »

وبعد فراغ وزير المعارف من كلمته دعى الحاضرون الى انتخاب مكتب المؤتمر فكانت نتيجة الانتخاب :

الحاج محتشم السلطنة اسفنديارى	رئيس
الأستاذ كريستنسون الدانمركى	نائب الرئيس
الأستاذ زاره الألمانى	« «
الأستاذ هنرى ماسى الفرنسى	منشى (سكرتير)
الدكتور عبد الوهاب عزام المصرى	« «

ثم تلا الرئيس رسائل كثيرة من الحكومات والجامعات



الأستاذ الزهاوى وهو ينشد قصيدته

(١) هذه ترجمة أبيات صوفية أظنها من المثنوى وهى :

متحد بوديم ديك جوهر همه — بى تن وبى سر بديم آن سر همه
يك كهر بوديم همچون آفتاب — بى كهر بوديم وصافى همجو آب
جون بصورت آمد آن نور سره — شد عود جون سايه‌هاى كنكره

تبين عن مشاركة الايرانيين فى الحفاوة بشاعرهم . ثم تكلم بعض المندوبين كلمات قصيرة أبانوا فيها عن سرورهم بالمشاركة فى هذا الاحتفال . وكان من المتكلمين الأستاذ عبد الحميد العبادى فتكلم بالعربية عن فضل الفرس على الأدب العربى ، وألقى الشاعر الكبير الزهاوى قصيدة فارسية

ثم بدئت المحاضرات على ترتيب حروف الهجاء ، فكان أول المتكلمين الأستاذ العبادى فتكلم عن الأخلاق فى الشاهنامه ، واستمرت كلمته خمسا وعشرين دقيقة وتلقاها الحاضرون بالاستحسان . واقتبس منها بديع الزمان أحد أدباء إيران حينما تكلم عن الشاهنامه من بعده

وفى اليوم التالى تكلم سفير الروس ، وترجمت كلمته الى الفارسية ، وأهدى عن دولته كتباً وصوراً فارسية قيمة ، ثم خطب سفير الألمان ، وقدم هدايا من الكتب منها فهرست للشاهنامه ، وأعلن منح بعض الجامعات الألمانية رئيس وزراء إيران دكتوراه فى الآداب ، وانتخاب وزير المعارف عضواً فى جمعية المستشرقين الألمانية . ثم تكلم آخرون ، وانتهت الجلسة بانشاد الشاعر الكبير الزهاوى قصيدة عربية (نشرت فى الرسالة)

وفى اليوم الثالث كانت جلستان : فى الصباح والعشى ، وتكلم ثمانية . وكنت ثانى المتكلمين فى الصباح فألقيت بالفارسية كلمتى « مكانة الشاهنامة فى آداب الأمم » فى عشرين دقيقة . وقد تفضل الحاضرون فأحسنوا استقبالى حينما قمت للكلام ، وأحسنوا الاستماع لى ، ثم أبدوا استحساناً عظيما حينما فرغت ، وإنى أدع للجرائد الايرانية الكلام ، فان القارىء المصرى يهمه أن يعرف ما قالت جرائد إيران فى ذلك

قالت جريدة اطلاعات :

« ثم ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام معلم الأدب الفارسى والعربى بالجامعة المصرية ، خطبة بالفارسية ، وموضوعها مكانة الشاهنامة فى آداب الأمم ، وقد بدأ كلامه بقوله . أنا لا أحسن التكلم بالفارسية ، ولكنى لا أريد فى حضرة هذا الشاعر الكبير (وأشار إلى تمثال الفردوسى) أن أتكلم إلا بلغة الشاهنامة — ولخصت الجريدة المحاضرة ، ثم قالت — : وفى نهاية الخطبة أبدى سروره بمشاركته هو وزميله فى عيد الفردوسى باسم الأمة المصرية والحكومة . وقدم الى رياسة المؤتمر نسخة نفيسة من الشاهنامة العربية التى أخرجها الدكتور عزام أخيراً ، بعد أن صححها وعلق عليها ، وقدم لها مقدمة نفيسة جامعة ، وطلب أن ترفع هذه النسخة إلى الحضرة الهمايونية الشاهنشاهية . وكذلك قدم نسخة إلى حضرة رئيس الوزراء ، وأخرى إلى كفيل وزارة المعارف ، وكانا حاضرين . وقد قوبلت خطبته وعمله بتصفيق مديد . وحينئذ تقدم إلى منصة الخطابة السيد حكمت كفيل وزارة المعارف ، وشكر الدكتور عزام على ما أظهر من عواطف المودة وقال : « أشكر الدكتور عبد الوهاب عزام من جهتين : الأولى أنه تحمل مشقة فى ترجمة الشاهنامة وتصحيحها والتعليق عليها . والثانية أنه تكلم بلغة الشاهنامة . يقول حافظ الشيرازى إن الترك المتكلمين بالفارسية يهبون لى الحياة . وأنا أقول إن العرب المتكلمين بالفارسية يهبون لى الحياة . والحق إن لسانى قاصر عن الشكر . والاستاذ عزام من أدباء الشرق الذين درسوا الفارسية برغبة وعشق وكلف خاص ، وإنى أختم شكرى بهذين البيتين للشيخ سعدى :

« قلت لقلبى إن الناس يجلبون السكر من مصر فيهدونه إلى الأحباء . فان تكن يدى خالية من هذا السكر فعندى كلام أحلى من السكر » (٢)

ولما جلس الدكتور عزام فى مكانه من منصة مكتب المؤتمر قال له الرئيس (لقد أردت أن تثبت أنك أستاذ الأدب الفارسى بحق) اهـ

ثم توالى المتكلمون فى اليومين الرابع والخامس ، وأنشد الشاعر الانكليزى درينكووتر قصيدة وترجمها نظماً وأنشدها فى المؤتمر من بعد الشاعر الفارسى بهار الملقب بملك الشعراء . وتكلم فى اليوم الأخير الأديب أحمد حامد الصراف أحد مندوبى العراق ، فألقى بالعربية كلمة قصيرة جميلة تكلم فيها عن المودة بين العراق وإيران

وكانت هذه الأيام الخمسة مزدحمة بحفلات الغداء والعشاء ، ومشاهد التمثيل والألعاب الرياضية ومشاهدة الأماكن العظيمة فى طهران . ونرجىء الكلام فى ذلك الى المقال الآتى خشية الإطالة

عبد الوهاب عزام

---

(١) تركان پارسى كو بخشند كان عمرم

(٢) بدل كفتم أز مصر قند آورند برد وستان أرمغانى برند
مرا كه تهى بود أزين قند دست سخنهاى شيرين تر أز قند هست

الشمس فى الغروب

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

ماذا تحس الشمس عند غروبها … فيكون ذلك باعثاً لشحوبها ؟
ما إن رأت عينى وقد راقبتها … كالفرق بين طلوعها وغروبها
بعد ابتسامتها لنا قد قطبت … والحزن كل الحزن فى تقطيبها
إنى ليحزننى الغروب فانه … لمذكر نفسى بكل كروبها
الشمس فى الدنيا إلىّ حبيبة … والنفس تأسى من فراق حبيبها
ويزيدها شجناً إلى أشجانها … مر السحاب محاولاً لركوبها
كانت إذا طلعت تفوز الأرض من … أنوارها مبثـوثة بنصيبها
كانت بجذوتها السماء منيرة … والأرض كانت تصطلى بلهيبها
أجمل بألوان الغمائم حولها … لو دامت الألوان بعد مغيبها
مدت مودعة بنان شعاعها … لبعيـدها وتلثمت بقريبها
انظر إلى الأفق البعيد تخل به … ناراً تخوض العين بعد شبوبها

* * *

بالشمس تحيا الأرض ضاحية لها … وبها تتم لها حياة شعوبها
صفراء خائفة كأن وراءها … سوداء تخطف شلوها بنيوبها
وقدا كتست بعد اصفرار حمرة … بدم لها أهريق فوق تريبها
وكأنما قطع السحاب أمامها … سدت لتمنعها طريق وثوبها
غربت وأبقت فى السماء وراءها … شفقاً يثير الشجو بعد غروبها
قد أوّبت شمس النهار فهل إلى … هذا مصير الشمس فى تأويبها
أمّا الغمائم فهى قد هبت بها … ريح الأسى فتمزقت لهبوبها
والثاكلات أذابها عصف الأسى … فقلوبها تنشق قبـل جيوبها

* * *

تهوى وتعلو فى زمان واحد … دنيا محاسنها بواء عيوبها
وكأنها من نورها وظلامها … ممزوجة أفراحها بخطوبها

جميل صدقى الزهاوى

شعرى

للمرحوم أبى القاسم الشابى

شعرى نفاثة قلبى … إن جاش فيه شعورى
لولاه ما انجاب عنى … غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتئابى … ولا وجدت سرورى
به ترانى حزينـاً … أبكى بدمع غزير
به ترانى طروبا … أجر ذيل حبورى

* * *

لا أنظم الشعر أرجو … به رضاء أميـر
بمدحة أو رثاء … تهدى لرب السرير
حسبى إذا قلت شعرا … أن يرتضيه ضميرى

* * *

لا أقرض الشعر أبغى … به اقتناص نوال
الشعر إن لم يكن فى … جماله ذا جـلال
فإنمـا هو طيف … يسعى بوادى الضلال
يقضى الحياة طريداً … فى ذلة واعتزال
ما الشعر إلا فضاء … فيـه يرف خيالى

أبو القاسم الشابى

جنون الغـيرة

لفريد عين شوكة

يغار إذا ما لاحه فى جماعة … يبادلها بعض الرضى وتبادله
ويكره أن يلقى له أىّ صاحب … يفوز بعطف عنـده أو يحاوله
ويعبس إن ردّ التحية لامرئ … يحييه أو مدّت إليـه أنامله
ويغضب منه إن أطل ببسمة … على الغير أو أصغى إلى من يسائله
فكيف إذا ألفاه يسعى لغيره … ويعرض عن ناء بالهجر كاهله
تساوره من حرقة الوجد لفحة … تضج لها أحشاؤه ومفاصله
ويغشاه إعصار من الهم متلف … يزعزع ركن القلب حين يصاوله

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٣ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأســتاذ خليل هنداوى

نقد الحكم La critique du jugement

ترى كانت — فى فصله هذا — يعزو كل تأثير الى أحاسيس باطنية ، فهو لا يتحرى اذ يتحرى عن أسباب الجمال الخارجية ، لأن الحس لا يكمن فى الأشياء ولكنه يكمن فى الانسان

وقد شطر نقد الحكم شطرين : الأول ويحتوى على الألفة بين الجميل والسامى لما بين الجمال والسمو من تقارب ، والآخر وهو يعنى بمظاهر الأشياء المؤتلفة المتطابقة فى الوجود

إن (كانت) بحث فى موضوع الجميل beau واللذيذ agréable كما بحث فيه الأولون ، ولكنه وسع دائرة البحث وتعمق فى تحليله ؛ فاعتبر اللذيذ كل ما فيه لذة للحواس مصحوباً بالرغبة ، واعتبر اللذة التى يولدها مشهد الحسن والجمال لذة خالية من الأهواء والأغراض ؛ وإن حكماً ما يمازجه قليل من الهوى لهو حكم فاسد غير مبني على الذوق ، ولكن لما كان حكم الذوق مبنياً على العاطفة فهو بحكم الضرورة قابل للتغير ؛ وفى الامكان أن نرى فى كل بيوت الفن — وفى الطبيعة تماثيل ودُمى تحظى برضا الناس ؛ ولكننا لن نرى مقياساً واحداً صحيحاً للجمال ، لأن الذوق نفسه هو كالبراعة شيء مبتكر

فاذا كان الجمال يؤثر فى شعورنا تأثيراً خفياً ويرسل فينا الراحة واللذة من حيث لا نشعر ، فان السمو ليلونا باهتزاز عنيف قد يكون مضنياً ومرهقاً للنفس ولأن يكون ماينبعثه السمو فى أنفسنا أدنى الى عاطفة الأعجاب والاجلال منه الى الراحة واللذة أحرى وأجدر ، واسمه الحقيقى هو « اللذة السلبية »

ويفرق كانت بين السمو الرياضى mathématique والسمو الآلى « أو ذو الحركة » dynamique هذا مؤسس على فكرة القوة وذلك على فكرة العظمة والروعة ، فالطبيعة هى سامية عالية — رياضياً — فى حوادثها التى يصعب على مخيلاتنا إدراكها ، وهى سامية أيضاً بحركات أجرامها الهائمة فى الفضاء ، حتى كأنها تريد أن تسحق وجودنا المادى . وفى كلا الحالين تهيب مخيلتنا بعقلنا ، فيتركنا العقل ذاهلين أمام السماء ذات الكواكب واللانهاية التى لا تُحد ولا تبلغ الى عظمتها المخيلة مهما سمت ، وهو العقل الذى يثير فينا عاطفة السمو ، ويجعلنا نرددمعه « ما أنا إلا قصبة ، لكنها قصبة مفكرة »

فالسمو إذاً لا يكمن فى الأشياء ، ولكن فى أنفسنا ، فلا يجب علينا أن نقول « إن هذا الشيء هو سام » ولكنه شيء يبعث فينا فكرة السمو ، فلا شيء فى الطبيعة مهما جل — إذا نظرنا اليه نظرة قياسية — إلا وهو يهوى الى أحقر الأشياء ، ولا شيء حقير – إذا قسناه بمقياس آخر — إلا وهو يرقى الى أعلى الأشياء ، وهناك المراصد والمجاهر تثبت صحة دعوانا

يعرض أمامنا شيء رائع ، يعجزنا التعبير عنه فنقول : إنه لسام رائع ؛ ويخلق معركة حامية بين العقل والمخيلة ، فلا تستطيع المخيلة إدراك كنهه ، والعقل لا يفتأ يتحرى عن وسيلة يفهمه بها ، فينشأ من ذلك تلك الروعة التى نحسها أمام الأشياء العظيمة السامية ، ولكنها روعة ترفع أنفسنا الى المثل العليا ، لأنها تنبه

يريد له ألاَّ يصاحب دونه ... وألاَّ يُنيل الغير ما هو نائله
يريد له ألاَّ يخِفَّ لغيره ... ولو كان ممن تستبيه شمائله
أمانِ كخال البدر يدنو ضياؤه ... وتُمْعِنُ فى بُعد المزار منازله
وعبء تنوء الشامخات بثقله ... ويفقد رَضْوى عزمه وهو حامله
فكيف بمحبوب أرقَّ من الصَّبا ... وأجنى من الغصن النضير كواهله
فياغيرة الصب التى طوَّحته فى ... خِضَمٍ من البلوى تناءت سواحله
ويا ويحه يخشى لقاء حبيبه ... مع الغير حتى لا تَهِيجَ بلابله
فيهجره رغم الجوار وإنه ... لأحوج أن تَرْوِى صداه مناهله
ويحمل فى النأى العذابَ وكلما ... تراءى له المحبوب ضجَّتْ مراجله
وأُغْرِقَ فى بحر الأسى وحبيبه ... تفيض بآيات الحبور محافله
ويا حيرة المحبوب فيما يشاؤه ... مُحِبٌّ بعيدُ الغَوْرِ ما هو آمله
عزيز عليه أن يرى بشره امَّحَى ... ونضرته كالروض جفَّت خمائله
ولكنه لا يستريح لناصح ... له فى الهوى أو يرتضى من يجادِلُه

قرنيه عين شركه

فينا ناحيــة العظمة الصادقة التى تتجلى بها طبيعتنا الانسانية وحريتنا الأخلاقية

أسلوب كانت

يُعد كانت أصدق الفلاسفة اعتقاداً وأصفاهم أسلوباً ، يقول ما يعتقد به حقاً ويكتب لقرائه كما يكتب لنفسه ، تـكاد تنطق جملته بفـكرته ، ويعتقد أن الحقيقة غنية بنفسها ، وأن الزخرفة فى التعبير عنها مما يرخص من قيمتها ، ورغم هذا الأسـلوب الواضح رماه بعضهم بظلمة التعبير ، وقد أراد هؤلاء أن يظهروا أن كانت ليس ممن تنبسط أفـكارهم للقارئ بسهولة . على أن أفـكار كانت لا تمشى إلى قارئها ، وإنما على القارئ أن يسعى اليها ليدركها ، ولـكنه لا بد مدركها كلها ، ولـكن إدراكها لا يخلو من الجهود التى لا يستغنى عنها رجل يسعى

إن أسلوب كانت واضح جد الوضوح ، ولـكن عيبه الواحد الذى أخذه عليه النقاد أنه يخلق فى الموضوع شعباً كثيرة لا يترك منها مسرباً الا نفذ فيه ، وهذا قد يدل على سعة اطلاع ونظر بعيد وإن كان لا يخلو من السأم ، ولـكن كانت لم يكتب إلا لذوى الألمام بهذا الموضوع فقد يأخذ الموضوع الحقير الذى لا يكاد يخوض فيه عقل فيخلق منه موضوعاً كبيراً ، وقد ذكر أحدهم نـكتة جرت على لسان صديقه (ڤيلر) أن هذا أعلن للفيلسوف أنه لا يستطيع أن يقرأ تصانيفه ، لأن الله لم يخلق له أكثر من هذه الأنامل ، يريد أن يضع أنملة على هذه الـكلمة وأخرى على الثانية وهكذا حتى تنتهى أنامله ولما يكمل العبارة ويقف على دقائقها ، لأن كانت يستعمل كثيراً الاقواس والأهلة فى عباراته المتصل بعضها ببعض . وقد كان لـكانت فضل كبير فى خلق كلمات وتعابير جديدة فلسفية خلقها بنفسه ، وفرضها على اللغة الفلسفية بنفسه

وأخيراً نستطيع أن نقول إن كانت كان مطلع الثورة الفلسفية فى المانيا التى خلقت « فيخت وشيلنغ وهيجل[1] » وقد تناول تأثيره جميع المدارس العلمية والأدبية ، وما ثمت فيلسوف ولا أديب ولا شاعر نشأ بعـد كانت الا وكان مديناً له ولمذهبه بكثير من آرائه ، وشيلر نفسه قد استمد من كانت آراءه فى الجمال والسمو ، وما أصدق كلمة (غليوم همبولد) حين قال « إن قسماً من الذى هدمه كانت لن يقوم أبداً ، وإن قسماً من الذى شاده لن يخسف أبداً »

(١) سنبدى فى مقالاتنا الآتية تأثر هؤلاء الفلاسفة بمعلمهم الـكبير كانت

فيخت

« FICHTE »

١٧٦٢ — ١٨١٤

ولد « فيخت » سنة « ١٧٦٢ » فى قرية « رامينو » ولم يكن أبوه ليقدر على القيام بأعباء تعليمه ، فكفله أحد سادة القرية وأنفق فى سبيل تعليمه ما أنفق ؛ وبعد جهاد عنيف ودرس طويل دخل فى العالم الفلسفى ، فـكان أول كتاب له « تجربة نقدية لـكل وحى » وكتابه الثانى « تقويم أحكام الشعب على الثورة الفرنسية » وكتابه الثالث « نداء عام لأمراء أوروبا لـكى يفـكوا العقل من عقاله » وهذه الـكتب الثلاثة وضعت « فيخت » فى مصاف أرباب فلسفة النقد والثورة ، وبعد هذا الانتاج الطيب أعلن فى محاضرة له قيمة مذهبه الذى وسمه بالمذهب العلمى ؛ وهو الذى يرد به كل العلوم الى مصـدر واحد . وهذا المذهب أو هذه الثورة الفلسفية أطارت اسمه فى الآفاق ، حتى غدا حديث المجامع والنوادى . وقد أُسند اليه منبر فى « لينا » ليُحاضر فى الفلسفة ، فسهل له هذا المقام أن يعاود شرح مذهبه وتفصيله من جميع نواحيه فى كتبه العلمية ، وكان خلال ذلك يواصل نشر مقالاته فى « واجب العلماء » فهو يريد من العالم أن يسيطر على شؤون بلده ، لأن العالم عنده ليس بالرجل الذى يملأ رأسـه علماً وعرفاناً ، ولا من يتخصص فى مادة واحدة يذهب بها كل مذهب ، ولـكنما العالم هو الرجل الحر الذى اجتمعت له ثقافة عصره ، وسما فوق مشاغل حياته اليومية ، هو يريد أن ينقاد المجتمع للرجال الألمع ذكاء والأروع عقلاً

وربما دفعه هذا المذهب — أضف إليه بعض مشاغل خاصة — إلى أن يقطع الـكثير من دراساته المتواصـلة ، كان يحاول من ورائها أن يطبق مذهبه النظرى على الأخلاق والحقوق والسياسة والدين ، يقطع هـذه الدراسات ملتفتاً إلى شؤون أُمته المحزونة ، وقد خطب الشعب كثيراً فى « برلين » بأسلوب تبدو فيها حماسة الفيلسوف وشدة تعلقه بوطنه ، ومن خطبه خطبة ذكر فيها أسباب انحطاط أُمته ووصف العلاج الشافى لهذا الانحطاط

قال : (إن أسباب الانحطاط داخلية ؛ لا يُمكن أن تُعزى إلى بأس الخصم وسيطرته ، إنها تتجلى فى خنوعنا ولين أخلاقنا ، وفى أنانية مرشدينا وقوادنا ، وفى إعجابنا وتقليدنا الأعمى للأجنبى

[البقية على صفحة ٢١٥٨]

ادب الحرب

كبتن كونان

للقصصي الفرنسي روجيه ڤرسل

(صاحب جائزة جنكور لعام ١٩٣٤)



كان لهذا الشهر في عالم الأدب الفرنسي أهمية كبرى تميزه من سائر شهور العام. فقد سطعت في النصف الأول منه أسماء أربعة من الكتاب بعد أن فاز كل منهم بأحدى الجوائز الأدبية الكبرى التي تمنح في فرنسا في مثل هذا الشهر من كل عام الى خير قصة يقع عليها اختيار لجنة تحكيم كل جائزة من هذه الجوائز. ولقد ذكرنا أكثر من مرة أن اهتمام الغرب بالأكثار من الجوائز الأدبية، يرتفع عن المكافأة المادية التي تصيب الكاتب الفائز، وأن الغرض الأساسي هو شحذ همم الكتاب، والاحتفاظ بعاطفة المنافسة حارة في قلوبهم. وكل من تصفح الجرائد الأدبية الفرنسية الكبرى خلال الشهر الفائت استطاع أن يعرف مقدار اهتمام الفرنسيين – وهم كغيرهم من أمم الغرب – بأمر هذه الجوائز الأدبية. واستطاع أن يحس بما تخلقه هذه المباريات في نفوس الأدباء حين يقرأ أحاديثهم قبل ظهور قرار المحكمين. تلك الأحاديث الممتلئة بالعبارات المتحمسة، القلقة على مصاير أعمالهم وعصارة عقولهم. وعندئذ يشعر بحاجة كل أمة متمدنة تبغي النهوض لفتوتها وآدابها إلى مثل هذه الجوائز

* * *

وروجيه ڤرسل Roger Vercel الفائز بجائزة جنكور أستاذ للآداب بكلية دينان Dinan، وهو الآن في الأربعين من عمره. ولد في بلدة نانز، ولما شب تعلم في (فليش) ثم انتقل الى (كان) ليدرس الأدب، ولكن لم يكد ينقضي عام حتى شبت الحرب الكبرى فانتزعته من أحضان كتبه وأساتذته الذين كان يجلهم أعظم إجلال مثل بيير ڤي الأستاذ الضرير الذي لا يزال يذكره روجيه فرسل بالخير، ويرجع إليه أكبر الفضل في نجاحه في الحياة العامة، ومثل موريس سوريو الذي أصلح له فيما بعد رسالته عن كورني، فنال بها ليسانس الآداب.

حارب فرسل في كثير من الميادين الحربية في فرنسا مثل: ايبر وشمباني وسُم وأرجون، ثم أوفدته السلطات العليا إلى عدد من بلدان أوروبا الشرقية للقيام ببعض المهام، فرأى اليونان وصربيا وبلغاريا ورومانيا، واستفاد من ذلك أجل الفائدة، إذ عرف أمماً تختلف عن وطنه في كثير من النواحي، وفهم نفسيات شعوبها، وأخلاق أهلها، وكان ذلك أكبر عون له على رسم كثير من شخصيات قصصه. وفكرة قصته Copitaine Conan التي نال عليها الجائزة إنما انبعثت في نفسه حين كان يعمل مقرراً لمجلس الحرب في صوفيا

ابتدأ فرسل يخوض غمار الأدب برسالته القيمة I mages dans l'oeuvres de Corneille التي نال بها ليسانس الآداب. وبعد ذلك نشر كتابه Lexique des images de Corneille et de Racine وبعد هذا الكتاب ظهرت قصته الأولى Notrc péres Trajin، وتلتها قصة En Dérive ثم Au large l'Eden ثم Le maitre du réve ثم ظهرت له هذا العام Copitaine Conan. وقد ابتدأت مجلة (جرنجوار) الأدبية تنشر له منذ بضعة أسابيع آخر قصصه La nuit macédonienne

ولفرسل ترجمة شيقة عن (دوجسكلان) Du Guesclin وهو يراسل عدداً كبيراً من المجلات الفرنسية الكبرى، وعلى الأخص (ريفودوفرانس) و (ماريان) و (جرنجوار)

* * *

وروجيه ڤرسل يهيم بالقوة، والأرادة الجبارة، والشجاعة الخارقة التي يراها واضحة جلية في كثير من رجال الجيش وبحارة السفن والصيادين المخاطرين. وهو يرى أن غرائزنا الوراثية الأولى التي تدفعنا إلى احتقار الحياة والأستهانة بالموت، والغرام بالنزال

والقتال ، تلك الغرائز التي يظن الكثير أنها ماتت بتطور الانسان لا تزال كامنة فينا ، وسرعان ما تطغى على شخصيات الكثير منا عند ما تمهد الفرصة المناسبة لظهورها كالحرب مثلاً التي هي أكبر عامل في اظهار هذه الغرائز الأولى . وفي قصة (كبتن كونان) يرسم لنا فرسل صوراً من أولئك الأبطال الذين يحملون أرواحهم على أكفهم مستهدفين للمهالك غير عابئين بالموت ، وإليهم يرجع كل فضل في الفوز والانتصار .

و(كونان) بطل القصة رجل صغير الجسم ، هادئ الطبع ، لين الجانب كان يشتغل بائعاً صغيراً في سان مالو . ولم تكد تنشب الحرب عام ١٩٢٤ ويتطوع فيها في جيش الشرق حتى تستيقظ فيه بطولة كانت خامدة تسوقه إلى مراتب الرقي السريع ، فنراه على رأس فصيلة صغيرة في الجيش نفخ فيها من روحه وبسالته ، حتى استيقظت في أفرادها نفس الغرائز التي استيقظت فيه ، غرائز الانسان الأول الذي لا يعرف للحياة قيمة ولا للموت رهبة ، فينساقون وراء رئيسهم (كونان) إلى شتى ضروب المهالك دون خوف ولا وجل .

لقد تجردوا من كل صفات الجنود النظاميين ، وأصبحوا أشبه ما يكون برؤساء العصابات ، لا يعرفون لهم قانوناً إلا الشجاعة الخارقة التي يجب أن تذوب أمامها كل عقبة تحول بينهم وبين تحقيق ما يرغبون . فبينما نرى في كثير من الأحيان أن سائر فصائل الجيش ينقصها الزاد والماء ، نرى ذلك عند فصيلة الكبتن كونان دائماً كاملاً موفوراً بل زائداً عن حاجتهم . وبينما نرى سائر الجنود يرهبون النزال مع العدو وجهاً لوجه حيث يمزق بعضهم أجسام بعض بالسيوف أو بأسنة الحراب ، ويعتبرون ذلك أشد ضروب القتال هولاً . نرى الكبتن كونان وأتباعه لا يترددون لحظة في الهجوم على خنادق العدو ، وقد تسلحوا بالقنابل اليدوية والخناجر معلقة إلى جوانبهم يغرسونها في أحشاء أعدائهم دون شفقة ولا رحمة حتى أطلق عليهم اسم (منظفي الخنادق) . ذلك أن كلا منهم كما يقول رئيسهم (كونان) لا يعترف إلا أنه (محارب) فحسب ، وليس جندياً يخلص للنظم العسكرية وتقاليدها كما يفعل سائر الجنود الآخرين . بل هم ينظرون إلى هذه النظم والتقاليد العسكرية نظرة الاستهتار بها والاحتقار لأثرها في الانتصار . وإنك لتستطيع أن تفسر جيداً نفسية أولئك (المحاربين) حين تقرأ كلام (كونان) إلى أحد رفاقه الذي يلومه على تصرفاته هو وزملاؤه ويقول : (حاول قليلاً أيها العجوز المسكين أن تفهم) فيجيبه كونان :

(أفهم ؟ أتظن أنني لا أفهم لأنني أتكلم بصوت عال ؟ إنني أعرف جيداً منذ بعيد أنهم كانوا يخجلون من أعمالنا ، وكانوا لا يعرفون كيف يتخلصون منا ! إنني أنا وشباني الذين خضنا حقيقة غمار الحرب ، ونحن الذين يرجع إلينا كل فضل في الانتصار ! أنا ومن عائلتي من الأعوان الذين أرعبنا الجيوش . أسامع أنت ؟ الجيوش التي كانت ترانا في كل مكان ، وكانت لا تحسب لغيرنا حساباً ، ولا ترهب سوانا منذ اندلعت أول شرارة ! إن قتل جندي أمر في استطاعة كل فرد أن يقوم به ، أما مهمتنا نحن فكانت قتل ذلك الجندي بطريقة تلقي الفزع في أدمغة عشرة آلاف آخرين ! لذا كان من اللازم الذهاب للقاء العدو بالخناجر . أفاهم أنت ؟ إن الخنجر هو الذي كسب الحرب ، وليس المدفع ! إن ذلك النوع من الرجال الذي أحدثك عنه لا يزيد على ثلاثة آلاف في كل جبهات القتال . على أن هؤلاء هم المنتصرون وحدهم . هم المنتصرون الحقيقيون !)

والقارئ لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الأسى والتأثر أمام الخاتمة المحزنة التي تنتهي بها مأساة تلك الشخصيات الغريبة . فقد مضت سنو الحرب الأربع ، وإذا (كونان) بطل مقدام فائز بوسام الشرف ، تحلى صدره نياشين المجد والفخار . على أنه لا تكاد

تعقد المدنية العامة وينطفئ جحيم الجزيرة البشرية الكبرى، وتوزن الأعمال بميزان أقرب إلى النفس والمنطق حتى نرى الذين كانوا يعتبرون بالأمس أبطالاً صناديد، والذين ببسالتهم النادرة وإراقة دمائهم دون حساب ضمنوا لجيشهم الفوز مراراً في ساحة الوغى، نراهم اليوم وقد أضحى الجميع يعتبرون عملهم جريمة لا تغتفر. وينظر اليهم مجلس الحرب نفسه نظرة الخارجين على القانون، المنتهكين لحرمة الشرف العسكري!

وبانتهاء الحرب ينصرف الجنود جميعاً إلى بلادهم وذويهم متنفسين الصعداء بعد أعوام مريرة من العذاب والشقاء. إلا أن هذه الظاهرة العادية لا نجدها عند الكبتن كونان ورفاقه. إذ يصور لنا روجيه ڤرسل كيف عاد كونان إلى مسقط رأسه يعمل كما كان تاجراً بسيطاً كسير القلب محطم النفس، غير راض عن حالة السلم والهدوء، غير مرتاح إلى العيش في مجتمع لا يناسب ميوله وغرائزه التي بعثتها الحرب من مرقدها، وأصبح لا يجد إلى التخلص منها سبيلاً

ويتزوج كونان. ثم تمضي الأيام فاذا الحياة الهادئة الوادعة لا تناسبه فيترهل جسده وتنتفخ أوداجه، ويضنيه مرض الكبد وكلما تقدمت به السن شعر بأنه فقد كل شئ، وضاق بالحياة كلها ذرعاً

إن روجيه ڤرسل يجمع في قصته فكرتين: أولاهما الاعجاب بأولئك الأبطال والرثاء لهم، وثانيتهما الدعوة ضد الحرب، فهو لا يبرر الحرب التي توقظ في هذا النوع من الناس بطولتهم الراقدة تحت وعيهم. بل هو بالعكس يريد أن يبين لنا أن (الحرب هي الشر الأعظم) كما يقول. أليست هذه الشخصيات التي يصورها لنا خير تصوير كأبطال الحرب الحقيقيين هي كذلك أولى ضحاياها؟ أليست شجاعتهم الخارقة تجعلهم أول وقود لسعيرها الجهنمي؟ ثم أيضاً ذلك النفر منهم الذي ينقذه الحظ الحسن من الموت في ميدان القتال، ألم تتحطم سعادته، وتشقى حياته كما رأينا في كونان، ذلك التاجر البسيط الوديع الهادئ العيش الذي أصبح بعد أربعة أعوام من المذابح البشرية رجلاً أجدر به أن يوضع في عداد المرضى حين لا يستطيع الحياة في مجتمع خلو من القتل وسفك الدماء؟!

تلك هي ميزة قصة (كبتن كونان) الكبرى، فلقد كتب عن الحرب منذ بدئها إلى الآن عدد كبير من الكتب الرائعة ربما كان أعظمها كتابا جورج دوهامل Civilisation و Vie des Martyre، وكتاب رولان دورجيليه Croix de Bois، وكتاب هنري باربوس Le feu الذي نال جائزة جنكور عام ١٩١٧، وقد تفوق هذه الكتب قصة (كبتن كونان) في كثير من النواحي، إلا أن روجيه فرسل يمتاز في قصته بأنه عالج موضوعاً ورسم نوعاً من الشخصيات الانسانية بطريقة لم يسبقه اليها غيره من الكتاب

علي كامل

البريد الأدبي

الجوائز الأدبية الفرنسية

ظهرت في فرنسا في أوائل هذا الشهر أسماء الفائزين بالجوائز الأدبية الفرنسية الأربع ، ففاز بجائزة Goncourt الكاتب روجيه فرسل بقصته Capitaine Conan وقد تحدثنا عن القصة ومؤلفها في غير هذا المكان . وفازت قصة Le Bateau - Refuge لروبرت فرانسس Fraucis بجائزة Femina - Vie Heureuse . وقصة Anny لمارك برنار بجائزة Interallié . وقصة Blanc للكاتب لوي فرانسس بجائزة Th. Renaudot

وروبرت فرانسس شاب في الخامسة والعشرين من عمره ، ولد عام ١٩٠٩ وكان منذ صغره كلفاً بقراءة الأدب ودراسته ، إلا أن أسرته أرغمته على الالتحاق بمدرسة الهندسة ، فكان هذا التصرف دافعاً على ازدياد شغفه بالأدب والكتابة : فأصدر وهو لايزال في الثامنة عشرة من عمره هو وشقيقه مجلة Les Cahiers 1928 التي عاشت ثلاثة أعوام

وابتدأ يكتب فيها عدداً من المقالات السياسية . وكذلك القسم الخاص بنقد الكتب وفي ذلك الوقت أيضاً نشر في المجلة أول أعماله الأدبية Souvenirs Romencés d' une vie d' eufant وهي ترجمة حياته مصوغة في قالب روائي . وفي عام ١٩٣٠ أدى روبرت فرانسس خدمته العسكرية في قسم الطيران ، وقد أظهر كفاءة أثناء اشتغاله في الحصون الشرقية دفعت وزير الحربية الى انتدابه عام ١٩٣١ للعمل في الحصون الشمالية ، فقضى ستة شهور متنقلاً بين (مان) و (ريمز) تاركاً العنان لأحساسه الشعري يتأمل تلك الغابات الواسعة الممتدة الأطراف . على أن المرض حال بين فرانسس وبين الاستمرار في البقاع الشمالية فرجع الى (ڤانس) حيث قضى ستة أشهر طريح الفراش . ولم يكد يبل من مرضه حتى شرع يكتب أولى قصصه La Grenge aux trois bella التي ظهرت في العام الماضي ، وفي هذا العام ظهرت قصتاه اللتان نال عليهما الجائزة وهما La maison de verre و Le Bateau - Refuge تحملان عنواناً رئيسياً واحداً هو La chute de la maison de verre

والقصتان تكملة للقصة الأولى . والقصص الثلاث تفيض بالأخيلة الشعرية التي تدنيها من الأساطير

وفن روبرت فرانسس يمت الى تلك المدرسة التي يسميها الناقد ادمون جالو Réalisme magique وهي مدرسة تحاول أن تصلح ما يوجه من النقد إلى المدرسة الشعبية populisme التي تكاد تقتصر على وصف شقاء المجتمع الفقير وما يخلقه هذا الشقاء من الرذائل . فالمدرسة الجديدة بتجديدها تحاول أن تتكلم عن فضائل هذا المجتمع الفقير . ولذا نرى روبرت فرانسس يرسم لنا في قصصه مقدار إحساس أبناء الطبقة الدنيا بالكرامة ومقدار سموهم الروحي وصفاء نفوسهم . مما يجعلهم أهلا لأن يرتفعوا عن مستوى حياة الحيوانات التي يحبونها

وروبرت فرانسس إلى جانب انتاجه القصصي كاتب سياسي ، وهو في مقالاته التي ينشرها من حين لآخر يدعو إلى إصلاح اجتماعي يهيئ للطبقات البائسة حياة حرة كريمة

أما مارك برنار الفائز بجائزة Interallié فقد نشأ في بلدة نيمز فقيراً معدماً . وكان طبيعياً أن يحول بؤسه وشقاؤه بينه وبين الدراسة المدرسية ، وأن ترغمه ضرورات المجتمع الحاضر على الاشتغال في سن مبكرة ليجني القدر الضئيل من المال كي يطفئ ألم الجوع ، فهجر نيمز متنقلاً من بلد إلى آخر . ولم يترك عملاً من الأعمال إلا طرق بابه وعالج سبيله . فاشتغل في السادسة عشرة ممثلا في مرسيليا ، ولما لم يصادفه النجاح اشتغل حمالاً للبواخر ، ثم اشتغل عاملاً في السكك الحديدية ، وعاملاً في مصانع المعادن ، وصابغاً للأحذية وغير ذلك من الأعمال الوضيعة المختلفة .

وكان مارك برنار لا يميل ميلاً شديداً للكتابة ولا يرى في نفسه استعداداً لها . على أن الضرورة أرغمته على معالجتها علّه يستطيع عن طريقها أن يضمن عيشه ، فنشر عام ١٩٢٨ أولى قصصه

Zih - Zag فصادف نجاحاً دفع الكاتب هنرى باربوس رئيس تحرير مجلة (موند) إلى أن يعهد إليه تحرير قسم النقد الأدبى فى مجلته، فعرف برنار عن طريقها عدداً من أعاظم الكتاب، وابتدأ يشارك أيضاً فى تحرير (المجلة الفرنسية الجديدة) ومجلة (أوروبا)

وقد نشر برنار بعد قصته الأولى قصة Au secours ثم تلتها قصته الأخيرة Anny التى نال عليها الجائزة.

وبرنار كاتب اشتراكى، وهو فى قصصه ومقالاته يفيض بالثورة على المجتمع الرأسمالى، ويعلى من شأن الطبقات المهضومة الضعيفة بفقرها التى خصص لوصفها — كما يقول — قصته التى يوشك أن ينتهى منها واسمها (المنفيون) Les exilés

أما لوى فرانسيس الفائز بجائزة Renaudot فقد بدأ حياته مدرساً بالليسيه فرانسيه بالقسطنطينية، فعرف الشرق عن ذلك الطريق، ووصف ما وصلت إليه خبرته ودراسته فى كتابه Chroniqus turques ثم كتب بعد ذلك قصته Blanc التى نالت جائزة رينو دوه

الفردوسى فى السوربون

احتفل فى الأسبوع الماضى بمهرجان الفردوسى فى السوربون واشترك فى هذه الحفلة رئيس الجمهورية المسيو ليبران، وعدد كبير من السراة والأعيان، بينهم الجنرال غورو حاكم باريس العسكرى، وكان بين الذين حضروا المسيو شارلتى مدير جامعة باريس، وسفراء العجم فى فرنسا وانكلترا، والجنرال نوله مستشار وسام اللجيون دونور الأعلى، ومن رجال المجمع العلمى ايبل بونار، ومدير كلية (الكليج دفرانس)

وقد أقيمت فى القاعة قاعدة أقيم عليها تمثال يمثل الفردوسى أحيطت بالأعلام الايرانية والفرنسية

وألقى مدير الكليج دفرانس خطاباً باسم المجامع الفرنسية ثم عقبه الأستاذ ماسيه مدير اللغات الشرقية فعرض لشعر الفردوسى وأثره، وألقى المسيو ايبل بونار خطاباً أطرى فيه الفردوسى وختمت الحفلة بخطاب وزير التربية والتعليم تناول فيه حياة الفردوسى

ايطاليا تحتفل بالفردوسى

احتفل فى الأكاديمية الملكية فى روما بذكرى الفردوسى، وألقى السنيور مالينو محاضرة قيمة عن الفردوسى وعن شعره الخالد وأثره الكبير فى الأدب العالمى

وفاة جوستاف لانسون

توفى أخيراً بباريس الدكتور جوستاف لانسون أستاذ الأدب الفرنسى فى جامعة السربون عن سبعة وسبعين عاماً باحتقان الرئة؛ ولقد كان المصاب به عظيماً أحدث هزة شديدة فى الأوساط الأدبية فى فرنسا

ولد جوستاف بمدينة أورليان، فى الخامس من شهر أغسطس عام ١٨٥٧، وفى عام ١٨٨٦ دعاه القيصر ليثقف بالأدب الفرنسى ولى العهد الذى صار فيما بعد نقولا الثانى، ثم عاد إلى التدريس بمدارس الليسيه بفرنسا، وانتقل بين ثلاث مدارس من مدارسها وكان مثلاً للنشاط والجد، وقد أدى اختياره مدرساً بها إلى انتخابه مديراً لمدرسة المعلمين العليا بباريس وكان ذلك عام ١٩١٩ وبقى بها حتى عام ١٩٢٧ ومنذ يومئذ بدأ يتم مؤلفاته فى النقد، ونذكر من مؤلفاته وكتبه، نصائح فى فن الكتابة، بوسويه، وبوالو، والناس والكتب، ودراسات أدبية وأخلاقية، وكورنى، وفولتير، وثلاثة أشهر فى التعليم بالولايات المتحدة، وطرق تاريخ الأدب، والمثل الفرنسى الأعلى فى الأدب، ونهضة الثورة، وابتكارات لامرتين

وفى عام ١٩٢٤ عين عضواً فى رابطة الشرف، ولكنه أبى أن يدخل الأكاديمية الفرنسية برغم الحاح المعجبين به، وإن كتابه تاريخ الأدب الفرنسى الذى ظهر فى عام ١٨٩٤ ثم أضاف إليه كثيراً من التعليقات فيما بعد لكفيل بأن يجعل للانسون مكانة عالية محترمة

تحسين جديد فى (التليفون)

يتسابق رجال العلم والاختراع فى إدخال التحسينات على «التليفون» وآخر ما طالعناه فى إحدى الصحف العلمية أن أحد المخترعين الفرنسيين تمكن من اختراع جهاز جديد أدخله على التلفون الأتوماتيكى الاعتيادى. والقصد من هذا الجهاز أنه عند ما يرغب المتكلم فى محادثة أحد، فما عليه إلا أن ينطق بالرقم المطلوب فتدور الأسطوانة من تلقاء نفسها بفعل تموجات الهواء. وهذا الجهاز يصلح استعماله فى الظلام أى عند ما يكون الانسان مضطجعاً فى فراشه ولا يريد أن يجهد نفسه. ويعتقد المخترع أن هذا الجهاز سيعم استعماله جميع أنحاء العالم

تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

[بقية المنشور على صفحة ٢١٥٢]

الغريب . أما علاج هذه الأدواء فهو التربية المؤسسة على الفضيلة التى تشجع النفوس وتعلم الأرواح معنى التضحية ... والوطن وما الوطن – عند فيخت – إلا خلود الانسان على الأرض ، أتلك صفة محمودة فيمن يرغب عن مؤازرة أخيه بعقله أو بعمله ؟ من هو ذلك الانسان الذى يبنى ألاَّ يخلق فى فراغ الأزمان شيئاً جديداً لم يمر بخاطر ، ولم يقع عليه ناظر ؟ هذا الشئ الذى يغدو مورداً لا ينضب لاكتشافات جديدة ؟ ومن الذى لا يرضى بأن يفادى بمقامه فى هذا الوجود ويتجاوز عن أجله القصير المقدر له لقاء بعض شئ سيخلد أبداً فى هذه الأرض ؟ أي خلق نبيل لا يرضى بهذا ؟

ألا إن هذا الرضا لا يتمثل إلا لعيون الذين يعتقدون بأن الوجود كامل الصورة ، ملائم كل الملاءمة لحاجهم ، وجامع لأمانيهم ، ما خلق إلا لهم . وأصحاب هذه الفكرة هم عندى أصحاب هذا الوجود ، وهم أصله ونواته . أما أولئك الذين ينظرون الى الحياة غير هذه النظرة فليسوا إلا حشرات سحيقة تزحف فى مسارب وجود سحيق)

وبينا كان فيخت يكسو فلسفته الآراء السامية ، كان يعمل على أن يكسو نفسه أثواب السمو . ولكن الردى غاله ولما يؤد رسالته ، فقضى نحبه سنة ١٨١٤ مستريحاً من جميع أوصابه

فلسفته :

فلسفة « فيخت » هى فلسفة رجل لا يعرف للعقل والقوة الانسانية حدوداً يقفان عندها . وقد كان – كانت – يرى أن معرفتنا تقوم على أن نوفق بين العقل الخارجى وبين نظام إدراكنا الداخلى ، وهو يرى أن وراء ما ندركه شيئاً قائماً بنفسه منسلخاً عنا لا يتطاول اليه إدراكنا . وما معرفتنا – عند كانت – إلا مظهر يتوارى وراءه السر الأبدى واللغز السرمدى . أما « فيخت » فهو يوقن بأن هذا المظهر نفسه هو الحقيقة ذاتها ، وهو وليد قوة « النفس » التى لا تنفد ، وذلك الشىء القائم بنفسه إن هو إلا حد يكبح قوة النفس ويحاول أن يقضى على سطوتها ، ولكنه حد يزداد أمره ضعفاً كلما استطاعت النفس أن تبرز من قوتها وتفرض شيئاً من سيطرتها على الوجود ؛ وبهذا كانت غاية العلم أن يتغلب العالم الداخلى وهو عالم العقل والروح على العالم الخارجى وهو عالم المادة

والنقطة الأساسية لفلسفة « فيخت » هى هذه الذات التى يجعل منها « الفاعل المطلق » فى هذا الوجود ، لكن هذه الذات لا تكمل لها معرفة ذاتها إلا إذا قورن بينها وبين غيرها ، وبضدها تتميز الأشياء . فان تخصيصى مثلاً لوجودى بقولى « أنا » يثبت منطقياً لغير ذاتى وجوداً . لأن الأخص يستثنى من الأعم . وهذا الغير هو الذوات السارحة فى هذا الوجود

قد تيقظت الذات فى إحدى خطراتها يوم أحست بنفسها فألفت أمامها سداً يقف سيرها . فوقفت وشعرت بأنها مقيدة ، من ورائها ومن أمامها سدود ، فأخذت تنظر الى علة هذه الحدود وهذه السدود ، فخالت أن هذه العلة كامنة فى جواهر الأشياء ، فأما الشعور العادى فهو يرى العلة فى جوهر الأشياء ، أما الفيلسوف فهو يعتقد بأنها كامنة فى التحريض الذى تثيره الذات لبسط سلطانها على الأشياء ، وتحقيق غايتها التى تطويها فى صدرها . وهكذا تجرى حياة الكائن المفكر ، فهو طوراً يصيب مركز الدائرة وطوراً يحيد عنه

(يتبع) دير الزور **خليل هنداوى**

بعض الكتب الجديدة

فى علم النفس

تأليف

محمد عطية الابراشى ، حامد عبد القادر

صدر هذا الكتاب النفيس الذى يقع فى أكثر من أربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، منذ شهور قلائل ، فملأ من المكتبة العربية فراغاً شاغراً ، كان يأسف له كل من يتمنى لهذا الشرق أن يساير الغرب فلا يتخلف من دونه فى بعض الطريق .

وما ظنك بهذا العلم الذى تبوأ فى أوروبا وأمريكا منذ منتصف القرن الماضى مكانة رفيعة بين العلوم ، وأصبح منذ ذلك التاريخ حلبة العقول وحومة الأقلام ، تتناصر كلها وتتضافر على دراسة النفس الانسانية ، حتى سارت فى ذلك شوطاً ، إلاّ تكن قد انتهت به إلى نتيجة حاسمة ، فهى على كل حال سائرة فى الدرب السوى سيراً مطرداً حثيثاً . نعم ، كان علم النفس طوال القرن الماضى شغل الساعة فى عالم الغرب ، أما نحن فقد لبثت أقلامنا بإزائه صامتة ، لا تكاد تمس الموضوع إلا مساً رفيقاً ، إذا استثنينا كتاباً أو كتابين ؛ وكأنما أحس الأستاذان المؤلفان بهذا النقص المعيب ، بل هو أجدر أن يسمى فقراً وإجدابا ، فشاءت لهما همة عاليــة ، أن يتداركا الأمر بعزم حديد ، وكفاية ممتازة ، فأخذا منذ عام أو نحوه يخرجان للناس بحوثاً مستفيضة فى كتب تترى ، هذا ثالث أجزائها ، وفى فصول متلاحقة أخذت تغمر الصحف ، حتى كان لنا فى علم النفس بفضلهما محصول ذو غناء بوفرته ومتاعه ، وأى شىء أحب إلى النفس وأمتع من أن تطالع نفسها مشروحة مفصلة ، فى تحليل دقيق عميق سهل مستساغ ، لا تشوبه خشونة العلم وغلظته ؟ فقد وفق الأستاذان الفاضلان فيما يكتبان الى « السهولة فى الأسلوب ، والوضوح فى العبارة ، مع الدقة فى التعبير ، والبحث وراء الحقيقة ، حباً فى الوصول الى الحقيقــة لذاتها ، حتى يسهل الصعب ، ويتضح الغامض ، ويقرب الى الأذهان ما بعد عنها ، من تلك الموضوعات التى لم تخدم بالعربيــة الخدمة اللائقة بها » . وأما فصول هذا الكتاب القيم فهى :

الفكر ، الحكم ، الاستنباط ، التــخيل ، التفكير الراق ، الوجدان ، الانفعالات ، العواطف ، الأمزجة ، الأذواق ، الشخصية . . . . . وقد وضعا بجانب الاصطلاحات العلمية ما يقابلها باللغة الأجنبية تجنباً للخلط ، ومنعاً للخطأ فى التفكير

وما دمنا بصدد ترجمة الألفاظ ، فقد نحب أن نعترض اعتراضاً نعترف أنه تافه يسير بالقياس الى هذا المؤلف الجليل : فقد ترجم الكاتب كلمة Conception بلفظة (التعقل) فى الصفحة الخامسة من الكتاب ، ثم عاد فى الصفحة الثالثة عشرة فأطلق لفظة التعقل هــذه ، تعريباً لـكلمة Ideation ومهما يكن بين اللفظتين من قرب وشبه ، فقد كنا نؤثر أن تنقل الكلمتان الانجليزيتان المختلفتان الى كلمتين عربيتين مختلفتين ، وليس ذلك بعزيز على الأستاذين المؤلفين . وهناك ملاحظة أخرى أخذتها العين أخذا أثناء التصفح السريع ، فقد أراد الكاتب أن يورد تعليل الوجدان (ص ١٤٦) فقال : « التعليل الجثمانى — ومعناه أن الوجدان راجع الى تغيرات مادية خاصة تحدث فى الجسم ، فينشأ عنها الشعور بالسرور أو الألم . وقد أجريت تجارب لأثبات ذلك فوجد مثلاً أن القلب يبطىء فى دقاته ، وأن التنفس يسرع عند السرور . أما عند الألم فقد شوهد العكس ، أى أن القلب يسرع فى ضرباته ، وأن حركات التنفس تكون بطيئة . . . » وعنــدنا أن هذا متناقض أوله مع آخره ، أو على الأقل كتب بعبارة يفهم منها القارىء هذا التناقض ، لأنه يريد أن يثبت أن علة الوجدان جثمانية ، أى أن الحركة الجثمانية تكون أولا ، ويكون السرور أو الألم ثانياً ، ولـكن قوله إنه قد أجريت تجارب فوجد أن الجسم يحدث به كذا وكذا عنــد السرور ، قد يفهم منه أن السرور ينشأ فتنشأ تبعاً له حالة معينة بالجسم ، وهو عكس ما أريد إثباته

ولا يسعنى فى ختام هذه الكلمة القصيرة ، وقد كان المقام يستدعى الأسهاب ، إلا أن أسجل رغبة أحسستها عند تصفحى الكتاب ، وتلك أننى وددت لو خرج هذا السفر الجليل الممتع المفيد ، أجمل انسجاماً من حيث الطبع ، وبخاصة فى مواضع العنوانات وحجومها

وإنى لأنتهز هــذه الفرصة لأهنىء المؤلفين الفاضلين على هذا التوفيق ، وأهنىء قراء العربيــة أن كان لهم هذان المؤلفان الفاضلان

زكى نجيب محمود

وجهة الاسلام

تأليف جماعة من المستشرقين

ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده

كتاب فى نحو مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ألفه بالأنجليزية الأساتذة هـ . ا . ر . جب أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن ، ل . ما سينيون الأستاذ بجامعة باريس وكلاهما عضو بالمجمع اللغوى الملكى المصرى ، ج . كامبفاير بجامعة برلين ، ك . برج بجامعة ليدن واللفتنانت كولونل فرار بالجيش الهندى سابقاً . ولقد قام بتعريب هذا الكتاب الأديب محمد عبد الهادى أبو ريدة خريج قسم الفلسفة بالجامعة المصرية

وانك لتفهم موضوع الكتاب من تلك العبارة التى جاءت فى مقدمة الترجمة العربية بقلم الأستاذ جب : « فأما الذى يرمى اليه مؤلفو هذا الكتاب فهو أن يحللوا تيارات الفكر التى تعبر عن حالة المسلمين ثم النزعات التى تتردد بينهم ليراها القارىء الأوربى اللبيب الذى له بعض الخبرة بحياة البلاد الشرقية » . ولقد قسم المؤلفون موضوعاته بينهم فاختص الأستاذ ماسينيون بمن اتصل من العمال المسلمين اتصالاً وثيقاً بالحياة الأوربية ، وتكلم الأستاذ كامبفاير عن النظم الجديدة فى الحياة الاجتماعية والعقلية فى آسيا الغربية ، وانفرد الكولونل فرار بدراسة الأسلام فى الهند وعلى الخصوص علاقته بالناحية السياسية ، أما الأستاذ برج فقد اتخذ اندونيسيا موضعاً لبحثه ، وقدم الأستاذ جب هذه الدراسات فى فصل طويل ممتع عن الأسلام والحالة فى العالم الأسلامى

فهذا كتاب جدير بالدراسة ، حرى بأن يقرأه الأديب المسلم ليرى رأى علماء المشرقيات ، أو بعبارة أخرى ليرى مقدار فهمهم للعالم الأسلامى ، ونزعتهم الفكرية أثناء الكتابة عن أحوال الأسلام ، وسيرى فيه كثيراً من الأفكار الدقيقة والنقط الهامة الجديرة بالبحث والتحليل كما أنه سيرى بعض أغلاط المستشرقين فى نظرتهم الى العالم الأسلامى ، فكثير منهم يقف من هذا الموضوع موقف من يزور مدينة كبيرة لأول مرة فيكون أسرع من أهلها أو أكثر تأثراً منهم بمواضع الدهشة والقوة فيها ، على حين أنه يغفل عن كثير من نواحى ذاتيتها ومعانى روحها وألوان شخصيتها مما لا يستطيع معرفته حق المعرفة إلا أبناؤها الخلص

أما عن التعريب فآثار العناية بادية فى الموضوعات كلها على العموم ، وإن كان المعرب أحياناً يتأثر بالتركيب الانجليزى والأخيلة الانجليزية فى طريقة سياق الأفكار وتسلسلها فى الجملة الواحدة فتلتوى العبارة العربية التواء يلبسها الروح الانجليزى ، مما يسبب صعوبة فهمها أحياناً ، أو يخرج بها عن المراد منها أحياناً أخرى . خذ لذلك مثلاً قوله : « ولعل من سداد الرأى توقعنا أن يكون انتشار الأسلام على هذه الأصقاع الشاسعة واشتماله على أجناس كثيرة وتقاليد قديمة أمرين سيحولان دون بلوغ وحدة حقيقية فى المدنية الأسلامية ، وإنه رغم اتحاد المظاهر الدينية فان بقاء العادات التى رسخت قديماً وأساليب التفكير المختلفة فى طبيعتها اختلافا لا يدع لاتفاقها سبيلاً سيؤثر تأثيراً قوياً فى ثقافة كل اقليم على حدة حتى لايترك مجالاً لتقاليد شاملة ولا لأى وحدة تامة فى الشعور وحتى يوجد غداً من الثقافات الأقليمية الأسلامية »

على أن المعرب الفاضل قد أحسن صنعاً على أى حال بتقديم هذا الكتاب القيم إلى لغة الضاد

الخفيف

فهرس ابجدى عام

١

لموضوعات المجلد الثانى من السنة الثانية

فهرس ابجدى عام

لموضوعات المجلد الثانى من السنة الثانية

ج

فهرس ابجدى عام

لموضوعات المجلد الثاني من السنة الثانية

فهرس ابجدي عام

لموضوعات المجلد الثاني من السنة الثانية

فهرس ابجدى عام

لموضوعات المجلد الثانى من السنة الثانيه

فهرس أبجدي عام

للكتاب الذين كتبوا في المجلد الثاني من السنة الثانية